جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلم الانسانية الاجتماعية

قسم العلم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

زرقين وفاء

يوم:05/09/2018

المرأة ضمن أنموذج الإنسان الأعلى عند نيتشه

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
لزهر عقيبي	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر- بسكرة	مقرر
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية:2019 - 2020

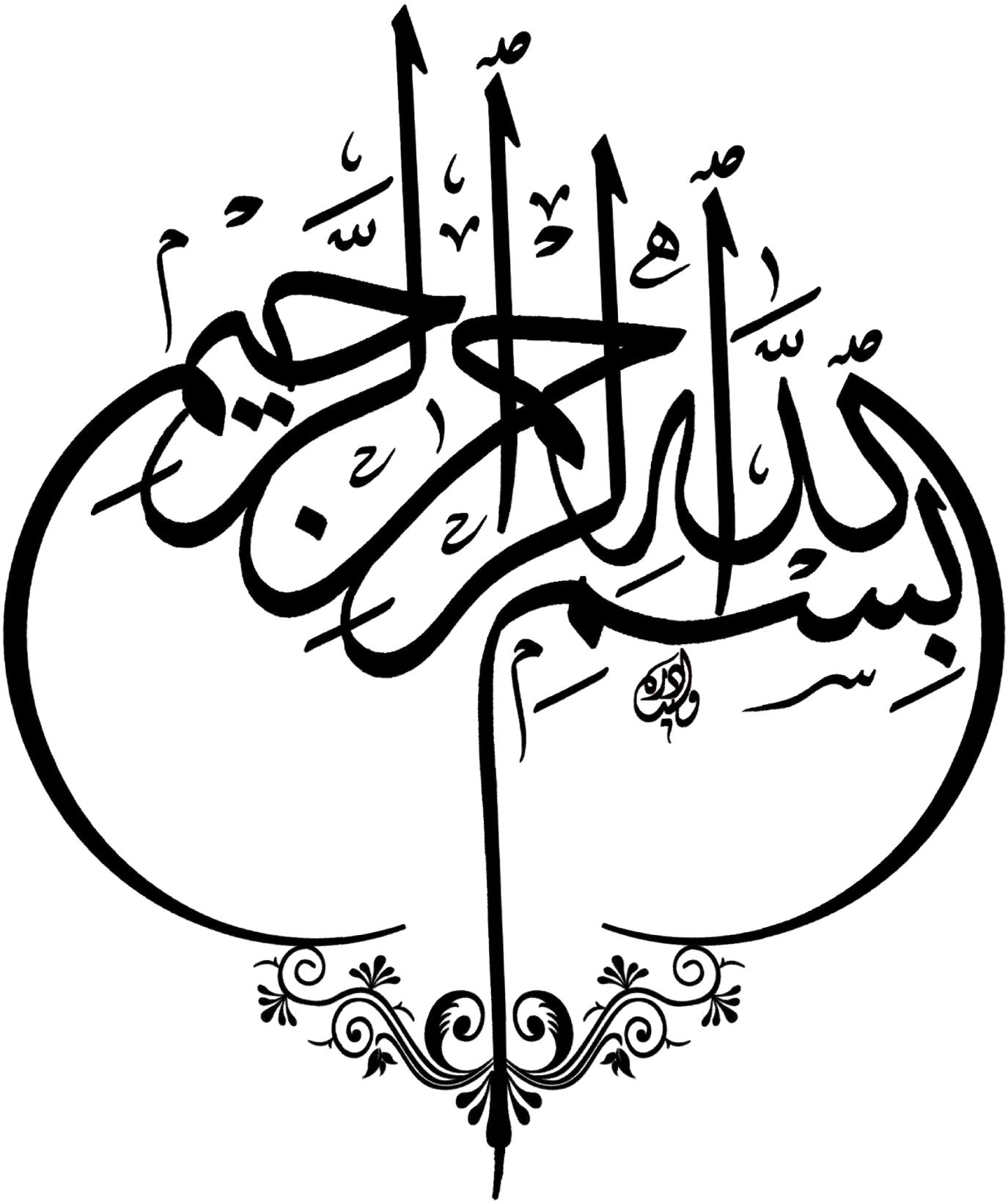
بسم الله الرحمن الرحيم

اقتباس

<< ليتوهج الكوكب السني في حبك أيتها المرأة... وليهتف شوقك قائلا: لأضعن للعالم الإنسان المتفوق... وليكن في حبك استبسال تتسلحين به لاقتحام من يثير الوجل في قلبك... >>

فردريك نيتشه

هكذا تكلم زارادشت ص 53

اهداء

أجمل العبارات هي تلك التي نسطرها على رسالة نحن كتبناها، وأجمل الإهداءات هي التي نبعثها لمن نحب، لأن أناملنا تصافح صماصيم قلبه، وتقع عيوننا على خلاصة تصوراته.

الى التي يحدونا الأمل في أن تكون قادرة على حمل مهمة خلق إنسان المستقبل المنشود...

الى التي تتسلق جدار الرغبة بلمسات أنثوية ناعمة، تلك الرغبة في خلق إنسان متفوق...

الى التي تجاوزت نقاط ضعفها وأدركت نقاط قوتها وأصبحت إنسانا لا يستهان بها...

الى التي سعت لتصنع لنفسها تاريخا عظيما...

الى التي اندفعت ثم تجرأت ثم سطعت...

الى المرأة الجامحة...

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي المتواضع، والذي سهل علينا الوصول إلى هدفنا المنشود وإلى غايتنا المرجوة.

كما لا أنسى تقديم شكري إلى صاحب السيرة العطرة، والفكر المستنير، فيسرني شخصيا أن أقدم أسمى عباراتالاحترام والتقدير إلى **الدكتور لزهر عقيبي**، الذي قبل الإشراف على هذا البحث، وتابعه منذ كان مجرد فكرة، إلى أن أصبح كما هو عليه الآن، وأنا ممتنة لك أستاذي لحرصك ومتابعتك وتوجيهاتك وتشجيعك وإمدادك، فلولاك لما خرج هذا البحث من العتمة إلى النور

وأيضا أتوجه بشكري وامتناني إلى جميع من أعانوني وساعدوني في إخراج هذا البحث بفضلهم وجهدهم على الآراء القيمة التي أبدوها لي وخصوصا **الدكتور جمال الدين بن سليمان و الدكتور فتح الله كشكار**، اللذين نبهاني إلى فكرة مهمة جدا كنت قد أغفلتها، فشكرا لأستاذي الفاضلين، وإلى جميع أساتذة الفلسفة دون استثناء الذين أشربونا من ينابيع أفكارهم وتصوراتهم أحييهم على جهودهم الجبارة في إخراج هذه الدفعة المميزة، كما لا أنسى جميع الزملاء وخاصة صديقاتي شكرا للفلسفة التي جمعتني بكم.

زرقين وفاء

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
اقتباس	
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: مكانة المرأة في العصور التاريخية المختلفة	
تمهيد	06
المبحث الأول مكانة المرأة في العصور اليونانية القديمة	07
أولا: أفلاطون والمرأة	12
ثانيا: أرسطو والمرأة	15
المبحث الثاني مكانة المرأة في القرون الوسطى	19
أولا: مكانة المرأة في الديانة اليهودية	19
ثانيا: مكانة المرأة في الديانة المسيحية	21
ثالثا: مكانة المرأة في الجاهلية	24
رابعا: مكانة المرأة في ظل الإسلام	25
المبحث الثالث مكانة المرأة في العالم الغربي الحديث.	29
أولا: روسو والمرأة	29
ثانيا: شوبنهاور والمرأة	33
ثالثا: الحركة النسوية (كموقف داعم للمرأة)	36
خلاصة	38
الفصل الثاني فكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه	
تمهيد	40
المبحث الأول موقف نيتشه من التأويلات الخاطئة لفكرته عن الإنسان الأعلى	41
أولا: الإنسان الأعلى ليس الإنسان الأخير	41
ثانيا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا داروينيا	43

ثالثا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا نازيا	44
رابعا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا أخلاقيا بالمعنى الدارج	45
المبحث الثاني التأويل الجديد لفكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه	47
أولا: مفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه	50
ثانيا: خصائص ومميزات الإنسان الأعلى	53
المبحث الثالث تأويل نيتشه لمفهوم الإنسان الأعلى	61
أولا: فكرة الإنسان الأعلى والمزدرون العظماء	61
ثانيا: فكرة الإنسان الأعلى والأرواح الحرة	62
ثالثا: الإنسان الأعلى وفكرة النبيل	63
رابعا: فكرة الإنسان الأعلى و المرأة	64
خلاصة	65
الفصل الثالث علاقة تصور نيتشه للمرأة بفكرته عن الإنسان الأعلى	
تمهيد	67
المبحث الأول البعد السيكولوجي لتصور نيتشه للمرأة	68
أولا: النقد الموجه للمرأة من طرف نيتشه	68
ثانيا: نيتشه والوجه الآخر للمرأة	74
المبحث الثاني البعد الفلسفي لتصور نيتشه للمرأة	79
أولا: المرأة من التبعية إلى فاعل مبدع	79
ثانيا: المرأة من التراث السائد إلى الخلاص النيتشوي	84
خلاصة	91
خاتمة	93
قائمة المصادر والمراجع	96
الملخص	

مقدمة

مقدمة:

يعد موضوع المرأة من بين أهم المواضيع التي شغلت الفكر البشري منذ أول ظهور للإنسان على وجه الأرض، منذ ذلك الحين والمرأة تمثل رمزا ما في كيان الرجل بداية من هابيل وقابيل مرورا بأقوى الشخصيات السياسية التي عرفها التاريخ، دون أن ننسى كيف رقص الشاعر على أنغامها أو كيف ألهبت لوحات الرسام بانحناءاتها الساحرة، وبما أن المرأة تعبرعن جوهر الحياة وحركتها، و فقد جعلها ذلك عنوان لعدة بحوث ودراسات.

ولذلك يسير هذا البحث في اتجاه مغاير لما سار عليه الباحثون في تناول موضوع المرأة عند نيتشه، إذ نحاول تقييم وجهة نظر جديدة إزاء هذا الموضوع بالنسبة إليه، وذلك من خلال قراءة نصوصه قراءة جديدة تسعى جاهدة للوقوف على الأسباب قلبه للقيم (الفلسفية والأخلاقية، الدينية)، وتحاول إستنطاق أبعاد رؤية جديدة لمستقبل الإنسان بصفة عامة، و المرأة بصفة خاصة، وتحريرها من قبضت العادات والتقاليد.

دون أن ننسى حرصنا من الوقوع في تكرار أفكار وآراء البحوث السابقة، وأن نقدم أفكارا مختلفة، من شأنها أن تغير تلك التصورات والأحكام التي أطلقتها المجتمعات القديمة حول المرأة وبقية راكدة في أذهاننا لحد الآن.

فإذا كانت مجتمعات العصور القديمة والوسطى والحديثة نظرت للمرأة من الناحية البيولوجية، فإن نيتشه قد تجاوز تلك النظرة التقليدية، حيث انتقل بنظرته للمرأة إلى الناحية السيكولوجية، حتى يساعدها في التخلص من آلامها ومعاناتها، عن طريق الاقتراب لنفسيتها و فهم أسرارها.

ربما هذا ما احتاجته المرأة في حين لم يستطع أحد فهمها، فهناك من أراد تحريرها فشوه صورتها، وربما أخرجها من دينها... وهناك من حرضها لطلب حقوقها فجعلها ضعيفة الشخصية... وهناك من وقف عقبة أمام حركتها ليؤكد عجزها، ولكن نيتشه لم يغب عنه ذلك، فسعى لتخليصها من التراث السائد، وقدم لنا تصورا جديدا يضع المرأة ضمن أنموذج الإنسان الأعلى.

_ومما تقدم نرى أن الإشكالية تكمن حول البحث في قضية المرأة في فلسفة نيتشه.

وعليه نطرح الإشكال التالي: ما علاقة تصور نيتشه للمرأة بفكرته عن الإنسان الأعلى؟

_ للإجابة على هذا السؤال إرتئينا إلى طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية: هل للتراث القديم أو الوسيط أو الحديث تأثير على أفكار نيتشة الخاصة بنظرته للمرأة؟ إذا كان لا فماذا عن فكرته للإنسان الأعلى هل هناك إمكانية لتكون المرأة من ضمنها؟ لنفترض أن هناك إمكانية هل سيكون ذلك التصور منطقيا وواقعيا أو أنه سيبقى مجرد تصور منشود؟

أهمية الموضوع: إن أهمية هذا الموضوع تكمن في كونه موضوعا حساسا لا بد من دراسته دراسة معمقة من أجل إلقاء الضوء على بعض الجوانب الغامضة والتي من شأنها أن تغير الأفكار السائدة حول المرأة خاصة في الفكر العربي المعاصر، لأن نظرتنا للمرأة لا تزال مشوشة، ولذلك كان الفيلسوف نيتشه المرشح الوحيد لحل هذه المشكلة الاجتماعية و النفسية، رغم أننا نعلم جيدا أنه في اعتقاد البعض يعد ألد أعداء المرأة من بينهم رواد الحركة النسوية، لكن تلك الأفكار كانت قاصرة في نظري؛ بحيث أن معظم أفكار نيتشه لم تحلل وتناقش وتعالج بالقدر الكافي في إطار الدراسات الأكاديمية الجامعية، نظرا لصعوبة أفكاره وغموضها، وموضوع المرأة من بين أحد المواضيع التي لم تنل حقها من البحث، ولهذا فقد قمنا بدراسة هذا الموضوع والبحث فيه لندرة الدراسات حوله من ناحية ، ولأنه يمثل مشكلة إجتماعية سيكولوجية، لذا حاولنا أن نعالجها بطريقة فلسفية لعلنا ننجح في حلها.

أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب الذاتية: التي دفعتني لدراسة موضوع المرأة أنه من أكثر المواضيع التي تتطلب الدراسة دون توقف فهو موضوع لا يموت وإنما لا بد من دراسته في كل وقت وفي كل زمن لأن مشكلة المرأة ومكانتها ترتبط بالثقافات والأزمان، كما أن قراءتي لنيتشه جعلتني أتأثر به، إما إيجابا أو سلبا، فهو يملك جاذبية وقوة غريبة جعلتني أعجب بكل ما يكتبه، رغم أنني لم أتفق معه في بعض آرائه، لكن مع ذلك لم أستطع أن أمنع نفسي من الإعجاب به وبطريقته في عرض أفكاره الفلسفية خاصة حول موضوع المرأة، الذي من خلاله لامس نيتشه شخصية كل أنثى أو لنقل كل امرأة، ولهذا سعيت جاهدة أن أغير الرؤى التي هي مصوبة نحو تأكيد عدائية نيتشه للمرأة، بأن أقلب الموقف و أن أعلق الأحكام في هذا الخصوص، وأن أقدم تصور جديد تكون فيه المرأة هي الطرف المتفوق في فلسفته .

أما الأسباب الموضوعية: فهي التحقق من صدقية التصور القائل بأن المرأة كائن ضعيف لا يصلح لشيء، فإذا إذا كان بإمكاننا تغيير الأحكام السابقة باستبدالها بتأويل آخر مغاير

للتأويل السابق، فهذا يعني العمل بدفع ذلك الحكم إلى التبدل، فليس من الصواب أن نحكم عن المرأة بالضعف والعجز بمجرد العودة إلى جانبها البيولوجي لأنه ربما هناك جانب آخر قد يكون سببا في ذلك الضعف الظاهر، لذا لابد من البحث أكثر والتعمق أكثر في هذا الجانب، حتى نفهم الحقيقة الكاملة لنستطيع حل مشكل المرأة وتخليصها.

المنهج المتبع: لمعالجة هذا الموضوع حاولنا الإستعانة ببعض المناهج الملائمة، لأن الموضوع يفرض الاستعانة بعدة مناهج، فما كان إلا أن نستخدم في الفصل الأول المنهج التاريخي؛ بحيث استعنا به لتقديم لمحة موجزة عن تطور المرأة من الزمن القديم إلى الفترة الحديثة، أما الفصلين الثاني والثالث فقد استخدمنا المنهجين التحليلي والنقدي وذلك ليسهل علينا تحليل أفكار نيتشه الغامضة والنتناقضة في نظرته للمرأة لأن أفكاره في هذا الموضوع بدت متناقضة في معظمها، و وفقا لهذه المنهجية المتبعة جاءت **الخطة** كالتالي:

مقدمة: وفيها قدمنا أهم النقاط الأساسية للبحث، طرحنا أهمية الموضوع بالنسبة للدراسات الفلسفية المعاصرة، والسابقة عليه، وطرحنا أهم الأسباب التي دفعتنا لدراسة الموضوع، ثم أشرنا إلى الإشكالية الرئيسية لموضوعنا.

الفصل الأول: تناولنا فيه مكانة المرأة عبر المراحل التاريخية المختلفة؛ حيث قسمنا العمل إلى ثلاث مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى مكانة المرأة في التراث القديم وبالأخص في اليونان، والمبحث الثاني خصصناه لمكانة المرأة في القرون الوسطى، والمبحث الثالث جاء بعنوان مكانة المرأة في الفكر الفترة الحديثة .

الفصل الثاني: خصصناه لفكرة الإنسان الأعلى في فلسفة نيتشه وقسمناه إلى ثلاث مباحث، فالمبحث الأول جاء بعنوان موقف نيتشه من التأويل الخاطئ لفكرته عن الإنسان الأعلى، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان التصور الجديد لفكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه، والمبحث الأخير تناولنا فيه تأويل نيتشه لفكرته عن الإنسان الأعلى.

الفصل الثالث: وهو أهم فصل في هذه الدراسة، بحيث خصصناه هو الآخر لتوضيح العلاقة بين تصور نيتشه للمرأة و فكرته عن الإنسان الأعلى، بحيث تطرقنا فيه إلى طموحات نيتشة المنتظرة من المرأة، المبحث الأول جاء بعنوان البعد السيكولوجي لتصور نيتشه للمرأة، تطرقنا فيه لعلاقة المرأة بالرجل وفكرتها عن الحب و الصداقة أما المبحث الثاني جاء بعنوان

البعد الفلسفي لتصور نيتشه للمرأة ودرسنا فيها مفهوم الزواج كخلاص يحدده نيتشة للمرأة ومدى تأثيره بالسلب أو بالإيجاب حسب المفهوم الذي أخذ به.

خاتمة: وفيها قدمنا مجموعة من الاستنتاجات الشاملة للموضوع، والتي منها خرجنا بحوصلة ما تم تقديمه من خلال هذه الدراسة، كما قدمنا مجموعة من التوصيات و الحلول التي هي عبارة عن بعض الأفكار الإبداعية والتي سقناها لحل المشكلة التي يدور حولها هذا الموضوع .

قائمة المصادر والمراجع: لنجاح هذه الدراسة فإننا قد إستعنا بعدة مصادر والتي من أهمها: هكذا تكلم زرادشت، أصل الأخلاق وفصلها، إرادة القوة، إنساني مفرط في إنسانيته، إلى غير ذلك من المصادر التي تعود إلى فيلسوفنا العظيم نيتشه، بالإضافة إلى إعتمادنا على مجموعة من المراجع والتي من بينها: محاولة جديدة لقراءة نيتشه لصفاء عبد السلام جعفر، وتطور المرأة عبر التاريخ لباسمة الكيال، والفلسفة والنسوية تحت إشراف على عبود المحمداوي، بالإضافة إلى المجلات والمواقع ورسائل وأيضا الكتب السماوية.

من الصعوبات: التي اعترضتني أثناء محاولتي لبلوغ هدفي هي افتقار الدراسات الخاصة بالمرأة إلى المصادر التاريخية، بالإضافة إلى ندرة الدراسات حول موقف نيتشه من المرأة التي أشرت إليه أعلاه، وأيضا صعوبة أسلوب نيتشة في كتابة أفكاره التي معضمها إما غامضة وإما متناقضة، بالإضافة إلى الظروف التي مر بها العالم هذه الفترة والتي جمدت تحركاتنا مما سببته في غلق المكتبات وتوقيف حصص المناقشة، إلا أنه رغم الظروف و الصعوبات، فإنه لم يكن أماما إلا التقدم محاولين تجاوز الوضع وإخراج أفكارنا إلى الوجود قدر المستطاع ودون إدخار أي جهد.

الفصل الأول:

مكانة المرأة العصورالتاريخية المختلفة

تمهيد:

قبل الشروع في دراسة آراء فيلسوف ما في موضوع معين وتحليلها، لا بد أولا من معرفة آراء الفلاسفة الذين سبقوه في تناولهم لذلك الموضوع لاكتشاف ما إذا كان سبب تطرقه لهذه المشكلة بسبب تأثره بمن سبقوه، أو أن له دوافع أخرى جعلته يعالج الموضوع بنظرته الخاصة، وهذا تماما ما ينطبق على فردريك نيتشه، فمن يدخل عالم الفلاسفة، و تعمق في أبحاثهم وأفكارهم وتصوراتهم ونصوصهم حول مواضيع تمس مشاعرهم، فسوف نجد بينهم اختلافات أكثر وأشد.

يعتبر موضوع المرأة محل جدل في تاريخ الفكر البشري عامة والفكر الفلسفي خاصة، حيث تتطلب منا هذا الموضوع أن نظل دائما على صلة بالأحكام السابقة، من أجل المقارنة بين الآراء كي لا نظلم أي فيلسوف في هذا الموضوع بالذات، فالمرأة شكلت رمزا هاما في حياة الكل؛ حيث كانت المرأةفي حياة البعض ذات محور هام، بينما شكلت عند البعض الآخر موقفا معاديا طوال الوقت، ولهذا وجب علينا العودة بدراسة الخلفية الفكرية التي كانت سائدة في الفكر اليوناني وحتى الفكر الذي كان سائد في القرون الوسطى، بالإضافة إلى الفكر الغربي الحديث، وذلك لنتعرف على مكانة المرأة في كل من الفترات السابقة ونسأل أنفسنا عن الجديد الذي قدمه لنا فيلسوفنا في هذا الصدد، وفقا لهذا التقديم نطرح الإشكال التالي:

– كيف كان وضع المرأة في الفترات السابقة من التاريخ البشري؟

المبحث الأول: مكانة المرأة في العصور اليونانية القديمة

عاشت المرأة اليونانية ظروفا قاسية جعلتها أضعف مخلوق في المجتمع، لدرجة أنها أصبحت تؤمن بذلك، وإلى نفس الرأي تذهب الدكتورة باسمة كيال: **<<**عند ما نتصفح تاريخ المرأة الإغريقية نلمس بأنها كانت مسلوبة الحرية والإرادة وحتى المكانة الاجتماعية وفي كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية وفق نظامهم و تشريعاتهم وفي كل ما يتعلق بالمرأة من حقوق وواجبات >>[1]، هذا يعني أن المرأة لم تكن لها مكانة اجتماعية بل كانت تبدو كخادمة تظل سجينة في البيت طوال الوقت، يمنع عنها الخروج من البيت إلا لسبب وجيه، وبإذن زوجها بحيث أوكل لها مجموعة من المهام كالإنجاب والاعتناء بالزوج والاهتمام بالمنزل، ولقد فرضوا عليها البقاء تحت رحمة الرجل، خاضعة أمام أوامره، ففي المجتمع الإغريقي الرجل هو من يسير شؤون المرأة لأنها في نظره قاصر، وبالتالي لا تملك الأهلية لتتصرف وفق إرادتها، كما له الحق في أن ينفصل على المرأة متى أراد دون تعويض[2] .

هذا ما يثبت لنا بأن المرأة ليس لها أي أهمية عند الرجل اليوناني، فهو يملك الحق في دمار حياة المرأة، بأن ينفصل عنها في لحظة فهي بالنسبة له جزء من ممتلكاته، بحيث يمكنه بيعها في الأسواق، وفي هذا الصدد تقول باسمة كيال: << المرأة على مر الأجيال والأزمان، هي العنصر الأضعف دائما وأبدا تجاه الرجل، فإنها دائما تخضع لإرادته ومشيئته حيثما أراد هو لا حيث ما تريد هي، وهذه القسوة من الزوج والأب والأخ وكل من يمتلكها، جعلتها تكبت في داخل أعماقها ما يجول بفكرها من ألم و عذاب لا يضاهيه آلام وعذاب حيوانات الغاب، وقسوة الأقدار التي هيئتها لأن تكون الأم والابنة والخادمة لهم جميعا بدون أن تنبث بأي كلمة عما يجول بخاطرها ومشاعرها من أحاسيس يعجز اللسان عن الإفصاح عنها>>[3].

رغم نظرة الإقصاء والاحتقارالذي كانت تعيشها المرأة الإغريقية وحتى في الحضارات التي سبقت حضارة اليونان، إلا أنها لم تحرك ساكنا ولم تحاول أبدا تغيير مصيرها لا بل بقية خاضعة لقدرها الذي كتبه لها الرجل، ليس لأنها ضعيفة أو لا تملك مقومات التي

---

[1] باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ب ط، 1981، ص32.

[2] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2010، ص11.

[3] باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، المرجع السابق، ص8.

تأهلها لتكون فاعلا مبدعا، بل إن الرجل أيضا يعتبر حجر عثرة أمام حريتها، لأن الرجل هو المالك والمرأة هي التابعة، بالإضافة إلى هذا فهناك من يعتقد أن دونية المرأة ناجمة عن اعتمادها على الرجل ماديا كما أن وضعية المرأة بوصفها جاهلة أيضا من عوامل تكريس تلك الدونية بالإضافة إلى الأفكار الذكورية التي تم شحنها داخل رأس المرأة وجعلها تأمن بها [1].

في الحقيقة لا يعقل أن يكون هذا الاعتقاد صائبا من الناحية المنطقية، فكون اعتماد المرأة على الرجل ليس سببا كافيا لدونيتها، فدور المرأة المتمثل في إشباع رغبات الرجل والسهر على راحته بالإضافة إلى الاهتمام بالبيت وإنجاب النسل، كل هذه الأمور لا يحصل عليها الرجل بدون الاعتماد على المرأة، ولكن المشكل هنا أنه لا يمكن اعتبار الرجل دنيئا كونه يعتمد على المرأة في بعض المجالات، لأنه ببساطة يعتبر نفسه المالك، ولأنه يعد المرأة واحدة من بين ممتلكاته، ووفقا لهذا أبقاها حبيسة في البيت لا بل وأوكل إليها المهام التي تم ذكرها سابقا.

وبالتالي فالمال الذي تحصل عليه المرأة من الرجل هو في الحقيقة ثمن لأتعابها حتى لو لم يتم الاعتراف بذلك من طرف الرجل الإغريقي؛ لأن ذلك المال يبقيها على قيد الحياة لتكمل مهامها فهو كما لاحظنا حرمها من الخروج من البيت وممارسة الأعمال الخارجية ولهذا فلا يمكن أن نعد اعتمادها اقتصاديا على الرجل سبب دونيتها، أما حالة الجهل التي كانت عليها المرأة اليونانية عامة؛ فالعامل الأساسي في ذلك هو العاداتوالتقاليد بل التراث اليوناني عامة << فالمرأة الإغريقية لم تتلق حتى التدريبات الأولية للقراءة والكتابة مما يجعلها محرومةحتى من الثقافة العامة>>[2]، هذا يعني أن المرأة اليونانية كانت جاهلة لا تعرف الكتابة ولا القراءة.

[1] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 2013، ص51.
[2] باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص32.

فدور المرأة بالنسبة للرجل الإغريقي محصورا في بيت الزوجية، فلم يكن ينظر للزوجية باعتبارها رباط مقدس بل بالعكس تماما؛ فبالنسبة له مثلها مثل خدمة البيوت فقط، أما للحب والمشاعر الوجدانية هو مجال العشيقة، ولذلك نجد الشاعر اليونانيديموستين* يفصل النساء كل حسب وظيفتهن، حيث هناك ثلاث ادوار، فدور العاهرة هو إشباع الرجل بأنواع اللذات، ودور الزوجة إنجاب النسل الأصيل، ودور الحليلة الاهتمام بصحة بدن الرجل[1].

هذا اعتراف واضح لدرجة أن من يقرأه يتأكد أن الرجل لا يريد من المرأة أن تبدع في أي مجال فهو لا يراها سوى جسدا يشبع رغباته وشهواته وحاجياته، وهذه الصورة المخلة بقيمة المرأة ترضي غروره إلى حد بعيد لذلك عمل على إقناعها بأنها العنصر الأضعف وذلك لتبقى تحت سيطرته، فلو لاحظنا انه في كلتا الحالات الثلاث: سواء عاهرة كانت أم حليلة أو حتى زوجة؛ فهي في نفس المكانة والمرتبة، فقط يختلفن فقط من ناحية كيفية استغلال أجسادهن، وهذا ما يميز الواحدة عن الأخرى<< وهكذا كان الارتباط قويا، طوال التاريخ بين الملكية الخاصة ووضع المرأة في الحريم لحجبها عن الأنظار فلا يراها أحد قط، في محاولة لتعقيمها ولتكون وعاء نقي لإنتاج سلالة مضمونة من صلب الرجل، ترث منه ما لديه من ممتلكات وامتيازات مادية ومعنوية أو معا >>[2]، ما يعني أندور المرأة في المجتمع اليوناني قد اقتصر على امتلاك جسدها من طرف الرجل وعلى عملية الإنتاج، دون إعطائها مكانة في المجتمع؛ فكلمة زوجة لم تكن تعني شيئا ولم يكن لها، أي قيمة عند الرجل اليوناني، بالتالي لم تكن هناك أهمية كبيرة للزواج ولم يكن له أي اعتبار.

هذا فيما يخص وضعها الاجتماعي، أما وضعها السياسي فلم يكن أحسن حال من سابقه، حرمت المرأة اليونانية من حقها في المشاركة السياسية << فقد كانت النساء في المجتمع اليوناني، ومعهن العبيد، من أهم الفئات التي انحصرت داخل القطاعات الخاصة،

*ديموستين: هو أحد أشهر خطباء اليونان، ولد في أثينا عام 284ق م كانت عبقريته متشعبة و متعددة الجوانب ما جعله فريدا في العالم القديم فجمع في شخصيه بين الوطنب المتحمس و السياسي البعيد النظر، وسمى بالنثر اليوناني إلى حد الكمال، وسخر مواهبه و عبقريته لخدمة وطنه، قضى حياته كلها مجاهدا في سبيل مثل عليا ومات في سبيل ذلك كما يموت الأبطال الشهداء،(سلوى الديب، ديمستين أشهر الخطباء في التاريخ، مجلة الثورة ، تصدر عن الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، ب ت).

[1] بهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، 1983، ص12.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون و المرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992، ص11.

فأماكن الخطاب السياسي العام كانت مقتصرة على المواطنين الذكور وحدهم، وليس للنساء ولا للعبيد دخل فيها، إذ لا بد أن يصمت لسانهم أمام مسائل الحياة العامة >>[1].

في هذا الحديث تقرير واضح لإقصاء المرأة من العمل السياسي، ليس هذا فقط بل إنهم وضعوها في مرتبة العبيد في هذا، مهمتها هي تنفيذ للأوامر والخضوع للسلطة، ولا شأن لها بتشريع القرارات فهي لا تملك الحق حتى في تسيير شؤون نفسها فكيف لها أن تسيير شؤون العامة، أي أن المجتمع اليوناني كان آن ذاك مجتمع أبوي وكانت السلطة فيه من نصيب الرجال كما لا حظنا سابقا؛ فالرجل هو الوحيد الذي يملك السلطة في سن القوانين حتى وإن كانت تلك القوانين غير منطقية، فتبقى الأحقية موكله إليه وحده.

أما عن المرأة فكانت مجرد نكرة في عين الرجل اليوناني خاصة والمجتمع الإغريقي عامة<<حيث كانت نظرة المجتمع الأثيني للمرأة نظرة ازدراء وانتقاص مما انعكس على مركزها القانوني، فلم يكن القانون اليوناني يعترف لها بالأهلية، ومن ثم لم تكن أهلا لإبرام العقود أو أداء الشهادة >>[2]، من الواضح أن المرأة لم تسلم حتى من القانون اليوناني وكأن هذا القانون جاء ليدعم ما وضعه التراث من عادات وتقاليد وأعراف.

كان هذا حال المرأة في اليونان باستثناء المرأة في مدينة إسبرطة فقد كانت هذه الأخيرة تتمتع ببعض الحقوق التي كانت محرومة منها المرأة في باقي المدن اليونانية كأثينا وطيبة، فالمرأة الإسبرطية كانت أوفرهم حظا حيث << توسعوا في إعطائها شيئا من الحقوق المدنية، فأعطوها شيئا من الحق في الإرث والبائنة وأهلية التعامل، وما كان ذلك عن سماحة منهم واعتراف بأهلية المرأة وإنما كان لوضع المدينة الحربي حيث كان أهلها في حرب وقتال، فكان الرجال يشتغلون في الحرب دائما ويتركون التصرف في حال غيابهم للنساء >>[3].

وكأن التاريخ اليوناني يقول للمرأة الإسبرطية أن لا تفرحي فتلك الحرية مزيفة سنتها الظروف لا القوانين، وبالتالي فرغم حرية المرأة الإسبرطية وامتلاكها لبعض الحقوق إلا أنها في الحقيقة لم تكن لها قيمة أبدا، فالمجتمع اليوناني جردها من مواصفات الأنوثة سواء في

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون و المرأة، مرجع سابق، ص 17.

[2] نقلا عن: خيرى أبو العزائم الفرجاني، دراسة مقارنة بين الشريعة والنظم المعاصرة، ب ط، ب ت، ص12.

[3] مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، مرجع سابق، ص11.

مظهرها أو في مشاعرها، فأصبحت تتصف بصفات رجولية " مسترجلة "، وذلك لتكون أما شجاعة وتتمكن من تربية أبنائها على فنون الحرب والقتال ليكونوا أقوياء، كما أنها علمت بناتها قسوة العيش، وذلك ليصبحن أكثر قسوة يتمكن من خلالها من أن يخلفن أولادا فرسان للمشاركة في الحروب [1].

إذن ومن خلال ما تم تقديمه حول وضع المرأة في المجتمع اليوناني؛ لا حظنا أنها رغم كل الظروف ورغم أنها عاشت حياتها محرومة من اجل وأسمى حقوقها إلا أنها قامت بواجباتها على أكمل وجه، سواء في مدينة إسبرطة أو في مدينة أثينا؛ فالمرأة الأثينية قامة بكل المهام الموكلة إليها والمتمثلة في تربية الأبناء وإنتاج النسل النقي والاهتمام بالزوج وإشباع رغبات الرجل الأثيني المتنوعة كما لاحظنا ذلك سابقا، دون أن تطلب شيء من حقها، ألا يثبت ذلك قيمة الدور الذي لعبته المرأة في نجاح الرجل الأثيني ،حتى ولو لم يتم الاعتراف بذلك إلا إننا لا يمكن إن نغطي هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس، أو أن نغمض أعيننا عن هذه الحقيقة.

أما في إسبرطة فقد ضحت المرأة بأنوثتها وبمشاعرها وبطبيعتها الأنثوية وجعلت من نفسها أشبه برجل، وذلك لتكون للرجل يد عون يعتمد عليها في كل الأمور الصعبة، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل تطور الحضارة اليونانية شمل تطورا لوضع المرأة؟ هل كان لفلاسفة اليونان رأيا مختلفا عن رأي جهلائهم؟

إن الجواب مؤسف حقا، فالمرأة اليونانية بصفة عامة رغم تطور الحضارة اليونانية وخروج المرأة إلى الشارع واختلاطها بالرجال إلا أن مكانتها أو لنقل صورتها بقية نفسها، وهذا ما جعل ولديورانت* يقف مندهشا من الوضع اليائس الذي عاشته المرأة وستعيشه، ولذلك نجده يدون ملاحظاته في كتابه المعنون قصة الحضارة، ويقول في هذا الصدد:<<اختفت النساء المتزوجات من تاريخ اليونان بين يوم وليلة، وكأن الأقدار أرادت أن تدحض حجة القائلين بأنه ثمة ارتباطا بين مستوى الحضارة في بلد ما ومركز المرأة فيه>>[2].

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مرجع سابق، ص35.

*ول ديورانت: فيلسوف ومؤرخ و كاتب أمريكي، ولد في ماسا تسوست بتاريخ 1885، وتوفي في 1981 بكاليفونيا، أهم مؤلفاته قصة الحضارة، (مصطفى زهار: مقاربة في دراسة نص التوراة، دار الضفاف، البصرة، ط1، 2012، ص9).

[2] ول ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، المجلد 2، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، د ط، د ت، ص117.

كانت هذه نظرة المجتمع اليوناني بصفة عامة عن المرأة، لنكتشف الآن آراء لفلاسفة اليونان وحكمهم على المرأة.

أولا_ أفلاطون والمرأة:

إن ما نلاحظه عن نظرة أفلاطون للمرأة لا تختلف أبدا عن نظرة المجتمع الإغريقي سابقا، لكنه في البداية يظهر وكأنه يدعو إلى تحريرها وإلى مساواتها مع الرجل، حيث نراه في تأسيسه لجمهوريته يدعو إلى شيوعية النساء والأطفال، وبذلك كان تحرير المرأة نتيجة مترتبة على فكرة الشيوعية التي أقرها أفلاطون؛ فنجد في كتابه الخامس يدعو إلى هذه الفكرة ويتجلى ذلك في قوله: << إن التربية الصالحة لو أنارت نفوس مواطنينا لأمكنتهم أن يحلو بسهولة كل المشاكل، كمشكلة اقتناء النساء والزواج وإنجاب الأطفال بحيث تتبع في هذه الأمور القاعدة القائمة أن كل شيء مشاع بين الأصدقاء >>[2]، إن هذه الشيوعية التي دعا إليها أفلاطون كانت مقتصرة على طبقة واحدة وهي طبقة الحراس، التي اختارها أفلاطون لتقوم بمهمة حماية الدولة المثالية، وهذا يؤكد لنا أن هدف أفلاطون ليس تحرير المرأة كما هو مبين لنا إنما هدفه هو موضوع سياسي[3].

فأفلاطون أثناء حديثه عن المرأة وعن تحريرها وعن مساواتها بالرجل لم يكن يحاول معالجة وضع المرأة من خلال ذلك بل كان يسعى لاكتشاف طريقة يتمكن من خلالها أن يستغل قدراتها في بناء دولته[1].

من بين أهم الصفات التي أرادها أفلاطون أن تتوفر في المرأة بعد تخلصها من المواصفات الأنثوية سواء المادية أو المعنوية، هي صفة الرجولة التي ستتمكن من خلالها بممارسة مهامها الجديدة والمتمثلة في حمل السلاح ومشاركتها في المعارك إلى جانب الرجل، فنية أفلاطون من ذلك هي دحض فكرة جنس المرأة، وبالتالي يكون مجتمع مدينته رجالي بحت.

فالاختلاف بين الرجل وامرأة عند أفلاطون يكمن على المستوى الجنسي فقط، ولذلك نجهده يصور هذه المساواة بأن الرجال هم كلاب للحراسة وأن النساء بمثابة إناث لتلك

[2]أفلاطون، الجمهورية، ترجمة داود تمرزان، دار الأهلية للنشر، بيروت، ب ط، 1994، ص299.
[3]فؤاد زكريا، جمهورية أفلاطون، دار الوفاء لدنيا النشر و الطباعة، الإسكندرية، ب ط، 2004، ص70.
[1]مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون، مرجع سابق، ص87.

الكلاب، حيث يتشارك كل من الرجل والمرأة في عملية الحراسة[1]، وهذا يوضح تماما أن أفلاطون يعتبر المرأة حارسة أوجندية وبالتالي فهو يعاملها نفس معاملة الرجل، من الواضح أن أفلاطون متأثر بالعقلية الذكورية التي كانت سائدة في عصره، هذا ما جعله ينظر إليه بصفتها رجل، لأنه إذا نظر إليها بوصفها امرأة فلن يكون لها وجود في جمهوريته، لأن مجتمع جمهوريته، مجتمع ذكوري بحث.

إن مساواة بين المرأة والرجل في نظر أفلاطون مجرد تلاعب بمشاعر المرأة، حيث أوهمها بإعطائها حريتها، ثم انقلب عليها ولغي وجودها من الأساس، فحتى لو لم تكن كراهية أفلاطون للمرأة هي سبب إقصائها وحتى لو كان السبب الحقيقي لذلك هو إلغاء الأسرة التي ترتب عليها إلغاء دورها إلا أن أفلاطون يبقى مدان لأنه لم يعر أي اهتمام للمرأة وأي مكانة، إنما كان هدفه سياسي وليس اجتماعيا [2].

في آخر الطريق تبقى تلك الحرية مجرد وهم وتلك المساواة مخادعة وأول دليل على ذلك أنه لو لاحظنا جيدا سنجد أن أفلاطون لا يضع المرأة والرجل في نفس الكفة في كل المجالات بل فقط في مجال واحد وهو الحراسة، أما الدليل الثاني هو أن أفلاطون حين شعر بالاستحالة تطبيق مشروعة على أرض الواقع، ويظهر ذلك في قوله: << هذا المثل الأعلى لا يتناسب إلا مع الآلهة أو أبناء الآلهة >>[3]، لقد تأكد أفلاطون من استحالة نجاح مشروعه، وبالتالي فما كان عليه إلا أن يعيد النظر في قراراته التي طرحها في مدينته الفاضلة كون أن هذا المشروع لا يتناسب إلا مع الآلهة وأبنائهم حتى تتحقق المثالية التي بني عليها جمهوريته.

إن ما نلاحظه على مكانة المرأة في مدينة القوانين التي تصورها أفلاطون، لا تختلف عن ما كانت تعانيهمن التراث اليوناني، وهذا وحده يؤكد أن أفلاطون لم يكن مهتما لا بالمرأة ولا بتحريرها، ففي جمهوريته كان يحاول إيهامنا بتحرير المرأة من التقوقع في العادات والتقاليد؛ وها نحن في مدينة القوانين نجده يرجعها إلى مكانها، فهل من المعقول وبعد كل ما اكتشفناه عن حقيقة نظرة أفلاطون للمرأة نعتبره مناصرا لها؟ وهو لم يكن ينظر إليها نظرة رجل لامرأة

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مرجع سابق، ص 78.

[2] نفس المرجع، ص79.

[3] نفس المرجع، ص83.

حتى،والدليل على ذلك مجموعة الفوارق بين الرجل والمرأة في هذه المدينة التي تميز بوضوح بين هذين الجنسين وتعطي الكفة العليا للرجل في حين الكفة الدنيا للمرأة، ما يوضح ذلك هو اختلاف الفضائل الموكلة للرجل في حين الكفة الدنيا للمرأة، ذلك هو اختلاف الفضائل الموكلة لكل من الرجل والمرأة؛ فقوة المرأة تحصل عليها من خلال انصياعها للرجل وهذا بالضبط ما نقده نيتشه في طبيعة المرأة وسنتطرق لذلك لاحقا، كما أن أفلاطون يفضل جنس الرجال لممارسة السياسة؛ فبالنسبة له الرجل أذكى من المرأة.

ولأن أفلاطون يرى بأن الرجل أكثر نضجا من المرأة وبالتالي فاختياره الرجال لممارسة السلطة في دولته مبرر، كونه ينظر للمرأة على أنها أقل ذكاء من الرجل ولكونها قاصرا فتحتاج إلى وصي طوال حياتها، ونلمس ذلك في قوله: << ينبغي على الفتاة أن تظل قاصرا وتحتاج إلى وصي طوال حياتها، فهي قاصر وهي تحت وصاية والدها وبعد الزواج تظل قاصرا فتنتقل الوصاية إلى زوجها فإلى وصاية ابنها إذا ترملت >>[1].

وبهذا يكون أفلاطون قد جعل المرأة تعيش حياتها تحت رحمة الرجل منذ بداية حياتها إلى نهايتها، وهو تصريح واضح بأنها لا يمكن أن تعيش حياتها كإنسانة ناضجة وواعية تتصرف وفق إرادتها، إنما يرى بأنها لا بد أن تبقى تابعة للرجل، وهذا بالضبط ما عناه نيتشه عندما قال أن المرأة لا بد أن تتخلص من قوة المغناطيس التي تلتصق بها دون أن تمتلك القدرة على الانفصال عنه حتى تتمكن من العيش بكل حرية واستقلالية[2].

لم يكتفي أفلاطون بهذا القدر من الانتقاص من شأن المرأة، بل حرمها حتى من حقها في الإرث، وهو في ذلك متأثر بالتراث الإغريقي الذي يحرم المرأة من أسمى حقوقها << فلم تكن للابنة في القانون اليوناني الحق في أن ترث والدها وإنما يرثه ابنه الذكر>>[3]، ليس هذا فقط إنما في هذه المحاورة أيضا يحرم المرأة من المهر، فهو يحرم المهور في دولته الثانية لغلائها[4].

سعى أفلاطون جاهدا لكي تبقى المرأة تابعة للرجل، فهو يحرمها من حقها في الملكية حتى لا تصبح مسئولة، وبالتالي تختفي سلطة الرجل اتجاهها ومنه تختفي سلطة الرجل التي

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون و المرأة، مرجع سابق، ص99.

[2] فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، كلمة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 2016، ص56.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون و المرأة، مرجع سابق، ص101.

[4] أفلاطون، القوانين لأفلاطون ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ،الطبعة الأولى ، 1982 ، ص50.

تزيد من شموخه وغروره وكبريائه، وهذا أيضا ينطبق على أفلاطون كونه رجل يحمل النزعة الذكورية، أما فيما يخص الخدمة العسكرية، فهو يستثني المرأة منها تماما إلا إذا رغبت هي في المشاركة، وهذا ما علق عليه بعض الباحثين مستغربا في المجالات التي سمح بها أفلاطون للمرأة كي تشارك فيها، ففي رأيه هناك مجالات عديدة يمكن للمرأة أن تساهم فيها غير المجالات التي طرحها أفلاطون أمام المرأة ليزيد من عنائها[1].

وفي الأخير إن كل ما يمكننا أن نقوله عن نظرة أفلاطون للمرأة، أنها لا مكانة لها في كلتا المدينتين حيث أنها في مدينة الجمهورية كانت عبارة عن رجل ولم تكن هناك صورة تمثل المرأة أما في مدينة القوانين فكانت لا تختلف عن وضعها الذي كان سائدا في التراث الإغريقي.

ثانيا_أرسطو و المرأة:

يعد أرسطو من بين أهم الفلاسفة الذين حاولوا التنقيب في تراثهم وذلك لمعرفة أهم المبادئ التي استقام عليها هذا التراث، ولكن أثناء محاولة اكتشاف ذلك وجد أرسطو بعض المواضيع التي هوت إليها نفسه فراح يدعمها لا بل يقدم لها مبررات لتأكيدها، حتى أنه أقام لذلك نظريات فلسفية خاصة، وهذا تماما ما حدث معه بخصوص موضوع المرأة، فأرسطو كان أسوء من أفلاطون في نظرته للمرأة، فإذا كانت نظرة أفلاطون لها مجرد انعكاس لما كان سائدا في المجتمع الإغريقي، فإن أرسطو لم يكتفي بذلك فحاول إيجاد مبررات لدعم تلك النظرة؛ فاختصر دور المرأة في المجتمع الإغريقي بشكل مستفز، حيث تركها على هامش سلم التطور، كما انه اعتبرها رجل ناقص ووصفها بضعف الإرادة وبالتالي فهي في نظره عاجزة فاختار لها البيت ليكون المكان المناسب لها بالإضافة إلى أنها لا تملك شجاعة تساوي شجاعة الرجل، فشجاعتها كما يرى هو تكمن في طاعتها لا غير[2].

لم يكتفي أرسطو بهذا التقليل من شأن المرأة بل أعطى أسباب ذلك وهي أن سبب الضعف الذي يظهر على المرأة راجع إلى طبيعتها، وبالتالي فهي أقل شأنا من الرجل ويتجلى ذلك في الوظيفة التي يقوم بها كل منهما حيث يتم تعريف الشيء حسبه بناءا على

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مرجع سابق، ص39.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص47.

الوظيفة واستخدم في ذلك نظرية *الهيولى والصورة* ونجده يشرح ذلك بالتفصيل في قوله: << إن دونية المرأة الأنثى ترجع إلى أنها مجرد هيولى، فهي لا تقدم في عملية الإنجاب سوى المادة الخام، في حين الذكر هو الموجود الأعلى لأنه الصورة أو العقل أو الروح التي بعثت المادة الحية، والمرأة أقل حرارة من الرجل ولذلك فهي أدنى منه والمرأة أضعف لأنها مادة سلبية والصورة إيجابية >>[1].

يحاول أرسطو من خلال هذا الحديث أن يثبت لنا أن هناك قدرات عند الذكر لا نجدها عند الأنثى، وبالتالي فهو يتميز عنها بملكاته الخاصة ولهذا فهو يعتقد أنه أسمى من الأنثى، نحن لا ننكر أن الذكر يتميز بقدراته على الأنثى، ولكن أليس للأنثى أيضا قدرات تمييزها على الذكر، فهما جنسان مختلفان، لماذا أرسطو تغاضى عن ذلك يا ترى؟.

إن الجواب واضح تماما فهذا تجلى واضح للمجتمع الذكوري الذي بقي مسيطرا على عقول الفلاسفة اليونان؛ فلا شك أن أرسطو كان متأثرا بأوضاع بيئته، ونظرته للمرأة جاءت كنتيجة لما عاشه محاولا تبرير الوضع برد أسباب ضعف المرأة وجعلها في المرتبة الدونية إلى الطبيعة التي في نظره هي التي فرضت عليها ذلك، حيث نجده يشرح لنا ذلك من خلال قوله:<< إنما الطبيعة وهي ترمي إلى البقاء هي التي خلقت بعض الكائنات الإمرة وبعضها للطاعة، وإنما هي التي أرادة أن الكائن الموصوف بالعقل يأمر بوصفه سيدا، كما أن الطبيعة أيضا هي التي أرادة أن الكائن الكفء بخصائص جثمانية لتنفيذ الأوامر يطيع بوصفه عبدا>>[2]، يلمح أرسطو بأن الكائن الموصوف بالعقل هو الرجل، بينما يقصد بالكائن الموصوف بخصائص جثمانية هي المرأة، يبدو أن أرسطو يريد من المرأة أن تبقى تابعة للرجل وتحته بدرجة وهو في ذلك لا يختلف عن أفلاطون، أي أن أرسطو قد اختصر دور المرأة بوصفها كائن ناقص تحكمه الشهوات والعاطفة وهي بذلك تبقى تابعة ومحكومة.

*الهيولة: كلمة يونانية الأصل، ويراد بها المادة الأولى وهو كل ما يقابل الصورة، ترجع إهذه المفردة إلى ارسطو، ثم أخذ بها المدرسيون بعده، (ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، ب ط، 1983، ص203).

*الصورة: ما قبل المادة، وقد دعا أرسطو بهذا التقابل وبنا عليه فلسفته كلها، وطبقه في علم النفس و المنطقن فصورة التماثل عنده هي الشكل الذي أعطاه المثال إياه وما دته ما صنع منه، (إبراهيم مذكور، نفس المرجع، ص107).

[1]إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1996، ص40 ص41.

[2] أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة: احمد لطفي السيد، منشورات الجمل للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص97.

إن هذا الحقد ظاهر على أرسطو في نظرته للمرأة غير مبرر، لأننا إذا عدنا إلى حياته الشخصية فنجده متزوج مرتين ومعظم الروايات التي كتبت عن حياة أرسطو الشخصية تأكد بأنه كان سعيدا في كلتا زواجيه، وهذا يثبت لنا أن أرسطو لم ينظر للمرأة نظرة شخصية، بل نظرته لها كانت فلسفية، فإذا عدنا مثلا إلى علاقة المرأة بالأخلاق حسبه، فنراه يربطها بالفضائل البشرية وهو في ذلك متأثر بالنظرية الهيراركية التي أوضح من خلالها أن الطبيعة هي التي خلقت هذا التعارض الذي نجده بين المتناقضات بين الروح والجسد وبين الذكر والأنثى، كما يري أن هذا الاختلاف أو التعارض هو لمصلحة المتناقضين وهذا التعارض بين الذكر والأنثى يجعل كل منهما في مرتبة فالأول أصل للسياسة والثاني أقدر على العمل، نلاحظ أن معظم أفكار أرسطو هي انعكاس لأفكار معلمه أفلاطون[1]، كما نجده أيضا يبرر اعتقاده بجعل الطبيعة المقرر لهذا الاختلاف والتفاوت.

إن أرسطو هنا يرجع سيطرة الرجل على المرأة وخضوعها له إلى عامل الطبيعة وهو بذلك يبرر دونية المرأة وتفوق الرجل ولذلك نجد الدكتور إمام عبد الفتاح إمام يقول عن أرسطو في هذا الصدد:<< يعتقد أرسطو أن المرأة الفاضلة صاحبة الامتياز الحقيقي والجدارة الحقيقية هي التي تكون ربة منزل من الطراز الأول، تسهر على تربية الأطفال وتسير على قواعد محدد ة >>[2]، من الواضح أن أرسطو لا يريد من المرأة أن تكون فاعلا مبدعا أبدا، فهو يحاول قدر المستطاع ولم يدخر جهدا في ذلك لكي يبعدها من ساحة الإبداع، وأن يبقيها في مكانها فحتى لو أرادت أن تبدع، فهو يغلق في وجهها الساحة بان جعل إبداعها يكون موجها إلى مجال محدد وهو أن تصبح امرأة فاضلة وتكون ربة منزل بكل معنى الكلمة وأن تبدع في أداء مهامها على أكمل وجه، ولكن هذا لم يمنع وجود نساء مبدعات في عصره أمثال: ديوتيما*التي ذكرت في أكثر من محاورة من محاورات أفلاطون، وكان هناك الكثير من الفيلسوفات اللاتي كان لهم حضور في ذلك العصر إلا أنه تم تجاهلهن من قبل المجتمع اليوناني لأن هذا الأخير كان ينظر للمرأة

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مرجع سابق، ص31.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، ارسطو والمرأة، مرجع سابق، ص101.

*ديوتيما: فيلسوفة أشارة لها أفلاطون في محاورة منكسينوس، والتي كتبت خطبة بركليز الجنائزية، كما أنها أجرت حوارات مع سقراط حوا الحب العذري، وهو الحوار الذي دونه أفلاطون في محاورة المأدبة الشهيرة،(جليل والي، ديوتيما فيلسوفة وأول من أجرى معها أرسطو حوارا حول الحب العذري، مجلة الإتحاد ، جامعة الإمارات، ب ت).

كملكية، وبالتالي ليس لديها الحق في التصرف بأهلية إنما لا بد من بقائها تحت رحمت سيدها الذي هو الرجل[1].

أما بالنسبة لعلاقة المرأة بالسياسة حسب أرسطو فنجده يقصيها تماما من العمل السياسي فهو يرجح الجنس الذكري للعمل السياسي على الجنس الأنثوي الذي يعتبره أقل من مستوى الذكاء وأدنى من حيث المرتبة وبالتالي فهي بعيدة تمام البعد من العمل السياسي والثقافي، فقد حدد لها أرسطو مجالا واحدا فقط يمكنها فيه أن تظهر قدراتها ومهاراتها [2]، ولكن أي مهارات وأي قدرات التي ستخلقها وتبدعها وهي بين جدران البيت تقوم بنفس العمل يوميا، يقتلها الروتين.

إن ما قد نلاحظه عن تاريخ المرأة في التراث اليوناني وعن الأفكار التي جاء بها فلاسفة وعمالقة الفكر الفلسفي اليوناني تجعلنا نتأكد من صحة القول الذي يرجع تشويهصورة المرأة التي رسخت في أذهاننا والتي لقيت صداها في الفكر المسيحي والفكر الإسلامي حتى أنها أصبحت متداولة بيننا هي نفسها الصورة التي رسمها الفيلسوف اليوناني، ودليل ذلك أننا نجد أفكار كل من أرسطو وأفلاطون حول المرأة مازالت حاضرة بيننا ومرسخة في معتقداتنا، فمن لم يسمع عن أنها ناقصة عقل أو أنها غير كاملة أو أنها أقل ذكاء من الرجل[3].

[1] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص45.

[2] أرسطو طاليس، السياسة، مرجع سابق، ص76.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مرجع سابق، ص5.

المبحث الثاني: مكانة المرأة في القرون الوسطى

لقد ساد في مجتمعات القرون الوسطى نوع من الجهل القاتل، ذلك الجهل الذي جعل من المرأة نكرة ومهمشة، فقد عانت المرأة من سوء ظن من حولها، ومن نظرة الاشمئزاز التي كانت تقصيها من الحياة بأكملها، فإن المطلع على الثقافات والديانات التي كانت سائدة قبل ظهور الإسلام، والباحث عن مكانة المرأة في تلك الثقافات والديانات، سيشل من تلك الحقائق المرهبة والبشعة عن وضع المرأة آن ذاك، وما سيتم تقديمه في هذا المبحث هو نماذج لصور الاضطهاد الذي تعرضت له المرأة خلال القرون الوسطى ومن ثم نقرر هل ظل ذلك الاضطهاد حكرا على الماضي القديم و العصور الوسطى؟

أولا: مكانة المرأة في الديانة اليهودية:

نظرت الديانة اليهودية للمرأة نظرة حقد وكراهية، لأن هذه المرأة التي اعتبروها المؤنسة للرجل قد خدعته وأغوته لفعل للخطيئة الكبرى، هذا ما نصت عليه التوراة في سفر التكوين حيث أن المرأة خلقت من الرجل ليكون أصلها ولتكون مؤنسة له، ولكن هذه المرأة أخطئت حين استمعت لوساوس الشيطان وأكلت من الشجرة المحرمة وأغوت الرجل ليشاركها هذه المعصية، وبذلك فقد كانت المرأة في اعتقادهم سببا في شقاء البشرية جمعاء[1].

ولذلك فالمرأة لم يكن لها مكانة في المجتمع اليهودي، حيث حرمها التشريع اليهودي من جميع حقوقها، ذلك لأنها لا تملك أهلية التصرف، لأنها حين جاءتها الفرصة لممارسة سلطتها وقعت في المعصية ولذلك ما جعل الرجل يتولى قيادتها، وهكذا أصبحت السلطة للرجل والمرأة تابعة له، هذا ما نجده مدونا في سفر التكوين فن عقاب المرأة<< أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادا، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك >>[2]، من هما أصبحت وظيفة المرأة أن تكون زوجة وفية لزوجها و أما لأولاده وطائعة له ولأوامره.

ولكن القوامة* التي منحتها الديانة اليهودية للرجل جعلته يستغلها استغلالا بشعا في حق المرأة، فبسبب قوامة الرجل على المرأة، أصبح يعاملها كعبدة ولا يقصر في إذلالها

[1] سفر التكوين الإصحاح 3: رقم (21، 22).

[2] سفر التكوين الإصحاح 3: رقم (16).

*القوامة: في الشريعة الإسلامية ما هي إلا آلية تنظيمية تفرضها ضرورة السير الآمن للأسرة القائمة بين المرأة والرجل وما ينتج عنهما من نسل طيب و ما تستتبعه من تبعات، (د. ميلم اليوسف، معهد المعارف لتخريج الدعاة في الفلبين، الدراسات الفقهية والقانونية، الفلبين، ب ط، ب ت، ص2).

وإهانتها، فقد جاء في الموسوعة اليهودية << أن هناك قوانين معينة تكشف عن حالة متدنية للمرأة في المجتمع الإسرائيلي، حيث كان للرجل الحق في أن يبيع ابنته لكي يدفع دينه>>[1]، وهذا دليل آخر على الوضع المتدني الذي كانت تعيشه المرأة في المجتمع اليهودي، حيث كانت لتلك القوامة آثارا سلبية على مكانة المرأة وقيمتها في المجتمع اليهودي.

ليس هذا فقط فالتشريع اليهودي لم يوفر جهدا في الحط من قيمة المرأة، وإهانتها والحط من كرامتها، بأن حرمها من جميع حقوقها، فقد حرمها من الميراث فالبنت لا ترث والدها إذا كان لديها أخا، لأن الابن في التشريع اليهودي يحصل على كل الميراث، وقد تحصل البنت على الميراث في حالة واحدة، إذا لم يكن لها أخا، كما أن الزوجة أيضا لم يكن لها الحق في أن ترث زوجها على أي حال، ولكن الزوج يحق له أن يرث زوجته وأن يحصل على كل ما تملك في حياتها وبعد وفاتها[2].

كما أن المرأة في التشريع اليهوديلايمكنها أن تنفصل على زوجها تحت أي ظرف، حيث أنها لا تملك الحق في تطليقه، إلا إذا أراد الزوج أن ينهي تلك العلاقة فإنه هو الوحيد الذي يملك الحق في الطلاق حسب ما نصت عليه التوراة في سفر التثنية: << إذا اتخذ الرجل امرأة وصار لها بعلا ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها، فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته>>[3]، أي أن الرجل هو الوحيد الذي يملك الحق في الطلاق حيث إذا لم ترقه المرأة التي تزوجها أو وجد فيها عيب ما، فإنه يطلقها حيث يقول لها أنت حرة وعندها يمكن أن تصبح لرجل آخر.

وباختصار كان الذكر أفضل من الأنثى في المجتمع اليهودي، حيث كانت الأنثى نذير شؤم بالنسبة لهم، أما الذكر فقد كان بشارة فرح وسرور، حيث جاء في كتاب الأحكام الشرعية الإسرائيلية << ما أسعد من رزقه الله ذكورا، وما أسوأ حظ من لم يرزقه بغير الإناث>>[4]، هذا يعني أنهم كانوا يفضلون الذكور على الإناث، ما يوضح لنا انعدام المساواة في المجتمع اليهودي.

---

[1] زكي على السيد أبو غضة، المرأة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للنشر، الطبعة الأولى، 2003، ص150.

[2] السيد محمد عاشور، مركز المرأة في الشريعة اليهودية، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ب ت، ص208.

[3] سفر التثنية الإصحاح 23 : رقم (1).

[4] السيد محمد عاشور، مركز المرأة في الشريعة اليهودية، المرجع السابق، ص82.

ثانيا: مكانة المرأة في الديانة المسيحية

عانت المرأة من ويلات الإهانة والانحطاط الذي كان سائدا قبل ظهور المسيحية، وبالتحديد عصر الآباء الذي كانت فيه السلطة من حق الرجل وحده، تلك السلطة التي جعلت المرأة خاضعة لتلك القوانين الجائرة التي حطت من قيمتها ومكانتها، فقد كانت تلك الصورة المنحطة للمرأة متوارثة عبر الحضارات اليونانية والرومانية، التي سادة أيضا في المجتمع اليهودي، ولذلك فقد كانت كل المعتقدات السائدة في المجتمع المسيحي في أغلبها موروثة عن الحضارات السابقة[1].

فإذا اطلعنا على المعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع المسيحي، نجد أن هناك تأثر واضح بأفكار أرسطو حول علاقة المرأة والرجل، والتي من شأنها أن تعلي قيمة الرجل، وتنزل من قيمة المرأة ودليل ذلك موجود في عقيدة التثليث الخاصة بهم والتي ترى << بأن منقذ البشرية هو ابن الرب، حيث ضحى بنفسه ليكفر الخطيئة التي أقدمت عليها المرأة (حواء)، ولذلك فقد كان الرجل أعلى قيمة من المرأة التي نزلت إلى مستوى الانحطاط>>[2]، ولبهذا أصبحتتلك الفكرة تعتبر الحجر الأساس الذي بنى عليه المجتمع المسيحي صورة المرأة.

بالإضافة إلى أن المسيحية قد تأثرت بالتراث اليهودي في نظرتها للمرأة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور إمام عبد الفتاح إمام: <<لقد ورثت المسيحية عن اليهودية نظرتها إلى الأنثى، وما فيها من استخفاف بعقلها، وبعواطفها و انفعالاتها، واحتقارا لجسدها الذي اعتبرته مكمنا للداء، ومصدرا للفساد... وبداية الانحراف الإنساني منذ بدأ الخلق >>[3]، فالمرأة في التشريع اليهودية تعد السبب الأول في شقاء البشرية، لأنها استسلمت لشهواتها ولم تستخدم عقلها، كما أنها أغوت الرجل (آدم) وجعلته يشترك معها في المعصية، ولذلك صارت المرأة في التراث اليهودي بمرتبة البهائم[4]، وهي نفس النظرة التي تبناها بعض القديسين ورجال الدين المسيحيين أمثال بولس الرسول الذي يعد أكبر المتأثرين بالديانة اليهودية، والذي لم يوفر جهدا في الحط من قيمة المرأة و إهانتها.

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي والمرأة، مكتبة مدبولي للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، 1996، ص10.

[2] نفس المرجع، ص16.

[3] إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي والمرأة، مرجع سابق، ص15.

[4] نفس المرجع، ص35.

ولكن رغم كل المعتقدات التي تبناها المجتمع المسيحي من الحضارات والديانات السابقة في نظرتهم للمرأة، إلا أن نظرة المسيح كانت مختلفة تماما، حيث كانت نظرته لها بعيدة عن تصنيفها روحا أو جسد، وكان تعامله معها على أنها إنسانا كاملا (روح وجسد)، ففي إنجيل لوقا نلاحظ بعض المواقف العملية والنبيلة التي قام بها السيد المسيح اتجاه المرأة.

وأول ما قام به السيد المسيح من أجل المرأة أنه حررها في البداية من سلطة الرجل، التي جعلتها في المرتبة الثانية، أو ربما في مرتبة أقل أو أحط، فقد حاول الإعلاء من مكانتها بأن جعل الزواج رباطا مقدسا، وشدد فيه على أن يكون الزوج والزوجة جسدا واحدا، فقد ذكر في إنجيل متى أن الله هو الذي يجمع بين الاثنين الرجل والمرأة، وإذا جمع الله بين هذين الأخيرين فلا يمكن لأي بشر على وجه الكون أن يفرقهما[1].

لم يكتفي السيد المسيح بتحريره للمرأة من قبضة الرجل، بل اجتهد في المساواة بينها وبين الرجل، وأعطاها قيمة وأعلى من مكانتها في المجتمع المسيحي الذي كان يعامل المرأة باحتقار، ولذلك أوصى الأزواج على زوجاتهم بأن يعاملوهن بالمودة والرحمة، فالمسيح دعا إلى ضرورة حسن معاشرة الزوجة ودليل ذلك في قوله: << أنتم أيها الأزواج، إذ تسكنون لزوجاتكم عالمين، بأنهن أضعف منكم أكرموهن باعتبارهن شريكات لكم في وراثة نعمة الحياة >>[2]، إن هذه الدعوة التي جاء بها السيد المسيح في إنصاف المرأة جعلت الكثير من النساء ينجذبن له ويؤمن به وبمعتقداته لأنه بدا في نظرهم عادلا ومنصفا، من المؤكد أن هذا ما جعلهم يعتنقون دينه.

كما أن المسيح حاول أن يحمي المرأة من مشكلة الطلاق الذي كان سائدا في المجتمع اليهودي والمسيحي والذي كان سهلا جدا، ولأتفه الأسباب، ولذلك جعل المسيح الطلاق محرما على الرجل والمرأة إلا لسبب واحد وهو الزنا وهو ما يظهر في إنجيل مرقس حيث يقول: << من طلق امرأته وتزوج بأخرى فإنه يزني عليها، وإذا طلقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني>>[3]، المعنى من هذا أن المسيح يرفض أي طلاق تكون علته غير

[1] إنجيل متى، الإصحاح19: رقم (4\7).

[2] إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي و المرأة، مرجع سابق، ص156.

[3] إنجيل مرقس، الإصحاح10.

الزنا، كما أنه لا يعترف بالزواج الذي يأتي بعد الطلاق الذي علته غير الزنا، وأيضا يعاقب هؤلاء الأشخاص حسب عقوبة الزنا في التعاليم التي جاء بها المسيح.

بالإضافة إلى أن المسيح قدر القوة العقلية للمرأة، حيث سمح لها بالتعلم والتعليم وكل ذلك ليعلي من شأنها ويجعلها قادرة على النهوض بذاتها دون الاعتماد على أحد، كما أنه سمح لها بالعمل في حدود، فكان أول عمل أوكله السيد المسيح للمرأة هي حمل البشارة ودليل ذلك موجود في إنجيل يوحنا، حيث يقول:<< اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم >>[1]، وبذلك أصبح أول عمل مسموح به للمرأة في المجتمع المسيحي بعد ظهور المسيح هو حمل البشارة.

ولكن رغم تلك التعاليم والمواقف النبيلة التي جاء بها السيد المسيح اتجاه المرأة إلا أننا نجد الدكتور إمام عبد الفتاح إمام يقف مندهشا أمام التأثر الكبير للفكر المسيحي بالتراث الروماني واليهودي، بداية من آراء القديس بولس الرسول وصولا إلى الفلاسفة المسيحيين الذين سيطر عليهم أفكار التراث القديم حول المرأة، فأصبحوا يتبنون تلك الأفكار ويدعمونها بما جاء في التوراة متغاضين عن كل التعاليم التي جاءت في الأناجيل التي أقرها السيد المسيح والتي تصب في معضمها في صالح المرأة[2].

فإذا عدنا مثلا إلى موقف الفيلسوف توما الإكويني من المرأة، فسوف نجده متأثرا في ذلك بالتراث اليوناني، خاصة بأفكار أفلاطون التي لم توفر جهدا في الحط من قيمة المرأة فاستعان توما الإكويني بأفكار الكتاب المقدس(التوراة)، التي جاء بها بولس الرسول، والتي ترى أن لله صورة واحدة تتمثل في الرجل فقط، ما جعل الإكويني يستنتج أن الله لا يتجسد في كل البشر، فاحتار في طبيعة وجود المرأة ولكنه باستخدام العقل اكتشف أنه بما أن الرجل هو الصورة الله، وبما أن المرأة خلقت من الرجل، فإن هناك صورة ثانية لله موجود في الرجل[3].

ولهذا السبب أصبح الرجل أعلى من المرأة ما جعل الإكويني برفض المساواة بين الرجل والمرأة ودليل ذلك في قوله: <<فإذا كانت المرأة بطبيعتها أدنى من الرجل فإنه من

---

[1] إنجيل يوحنا، الإصحاح 8: رقم (17\ 18).

[2] إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي والمرأة، مرجع سابق، ص38، ص39.

[3] نفس المرجع، ص194.

الطبيعي أن يحكمها الرجل >>[1]، اعتبر الإكويني أن طبيعة المرأة المتدنية هي التي جعلت الرجل يحكمها، وبهذا يكون قد أعاد تلك الصورة التي كانت سائدة في التراث القديم عن المرأة.

لم يكتفي الإكويني عند هذا الحد من الحط من قيمة المرأة، بل جعل وجودها مرتبطا بهدف واحد وهو التناسل وقد تأثر في ذلك بفكرة أرسطو عن التوالد، فحاول الإكويني تأكيد تلك الفكرة القائلة بوجود النقص والتشوه في الطبيعة البيولوجية للمرأة، وما يثبت ذلك هو قوله أن وجود المرأة كان لغاية واحدة منذ بدأ البشرية، وهي إعانة الرجل في عملية التناسل فقط وليس في شيء آخر[2].

لا يختلف الأمر كثيرا إذا اطلعنا عل أفكار الفيلسوفين(كلمنت السكندريوأوغسطين)، فهي الأخرى تعبر عن بشاعة التصور الذي كان سائدا حول المرأة آن ذاك.

ثالثا: مكانة المرأة في الجاهلية

صورة المرأة في الجاهلية لم تكن واضحة بالقدر الكافي الذي يجعلنا نخرج بموقف معين، فهناك من يرى أن الأنثى في الجاهلية تعد وصمة عار وسببا لشقاء أهلها، ولذلك كانوا يقتلونها فور ولادتها ونجد دليل ذلك في قوله تعالى:<< وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت>>[3]، كان هذا منكرا بشعا تفعله الجاهلية في حق المرأة، بأن تحرمها الحياة وتمنعها من الظهور، وذلك لعقابها على ذنب لم تقترفه،هل هذا يعني انه إذا أراد أحدا أن يحتفظ بابنته حاول جاهدا أن يخبئها عن الأنظار كي لا يراها أحد ويتسبب في فضيحته، يا له من وضع منحط تعيشه المرأة في ظل العقلية الجاهلية.

والأبشع من لك أن المرأة في نظرهم ليس لها أي رأي سواءا في موضوع الزواج، حتى أنهم كانوا لا يستشيرون بناتهم حين يزوجونهم، كما كانوا يتخذون زوجات آبائهم كزوجات لهم، لكي يحافظوا على إرث والدهم حيث يقول: << ورثتها كما ورثت مال أبي>>[4]، إن هذا الفعل البشع الذي يقوم به أهل الجاهلية لا برر فعلهم سوى أنه يبين أنهم

---

[1] نفس المرجع ص166.

[2] نفس المرجع، ص165، ص166، ص167.

[3] سورة التكوير، الآيتين 8 و9.

[4] مريم نور الدين فظل الله، المرأة في ظل الإسلام، دار الزهراء للنشر و التوزيع، بيروت، ب ط، ب ت، ص13.

كانو من أجل طمهم يتخذون زوجات آبائهم اللآتي قد يكن أمهات لإخوانهم، وكل ذلك من أجل المال .

هناك من يرى عكس ما سبق، أي أن المرأة في الجاهلية كان لها من القدر عالي والمكانة الرفيعة ما يجعلها تتمتع بالحرية والسلطة، وهناك مجموعة من الأدلة التي تثبت ذلك مثلا حرية المرأة في اختيارها للشخص الذي تتزوجه، حيث كان الوالد يستشير ابنته ويطلب رأيها إذا ما جاء أحد لخطبتها، فكانت الفتاة تملك الحرية في القبول أو الرفض وهو ما نجده في قصة الخنساء حين جاء دريد بن نصير الصمة يطلب يدها للزواج، حيث دخل عليها والدها يطلب رأيها في هذا الزواج، فكان ردها بأن فضلت أبناء عشيرتها وأبناء أعمامها على رجل غريب من بني جشم[1].

ليس هذا فقط بل حصلت أيضا على السلطة التي استغلتها في التأثير على نفوس أبناء قومها، وهو ما نجده في قصة بنات طارق وهما في وسط المعركة، حين خلعتا ثيابهما وراحتا تهرولان أمام عيون شباب قومهم لتزرع في قلوبهم حماسة وشجاعة حيث كانتا تنشدان: نحن بنات طارق نمشي على النمارق إن تقبلوا نعانق وإن تدبروا نفارق [2].

إن العقلية التي سادة في الجاهلية تجعلنا نضحك أحيانا من تفاهة اعتقاداتهم الساذجة، والتي جعلت المرأة في موقف محرج، وقد تتهم أحيانا بالخيانة رغم عفتها وطهارتها، فلقد كان الرجل قبل سفره يربط غصنين، وحين يعود من سفره يتأكد من بقائهما على نفس الحالة، التي منها يكتشف الرجل ان كانت زوجته قد خانته أم لا[3]، أليس هذا مضحكا أن يكون مصير المرأة وبراءتها مرطبتان بغصنين قد ينفكا بأي طريقة، إنها حقا قمة الجاهلية والانحطاط !.

رابعا: مكانة المرأة في ظل الإسلام

بعد الوضع المزري الذي كانت تعيشه المرأة من إهانة وقهر وظلم في المجتمع الجاهلي، جراء القوانين والمعتقدات التي كان يسنها ذلك المجتمع ولأتفه الأسباب كما لاحظنا سابقا، إلا أنه بمجيء الإسلام تم تحريم كل تلك السنن الباطلة والظالمة التي كان أهل

[1] حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، الهنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، 2016، ص23.

[2] نفس المرجع، ص29.

[3] نفس المرجع، ص30.

الجاهلية يعتبرونها من الصور التي تعبر عن العدالة، وإذا ذهبنا إلى ما جاءت به الآيات الكريمة من القرآن الكريم؛ سنجد مائة دليل وشاهد على ذلك.

نالت المرأة في ظل الإسلام من كرامة ومكانة رفيعة، ما لم تنله امرأة قبلها على مر التاريخ البشري، فقد كان الإسلام يسيرا رحيما عطوفا على المرأة، حيث منحها حقوقها وحرياتها التي فقدتها في عصور مضت، وأول حق أرجعه الإسلام للمرأة هو حق الحياة، فقد كانت المرأة في الجاهلية تقتل فور ولادتها كما ذكرنا سابقا، إلا أنه بمجيء الإسلام حرم قلتها لأي سبب، وعلى هذا ظهرت الآية الكريمة لقوله تعالى: << قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ظلموا وما كانوا مهتدين>>[1]، تدل هذه الآية على تحريم القتل لأي سبب كان، وقد وضع الإسلام عقوبات لهذا الفعل المنكر، حتى قضى على هاته العادة السيئة وأصبح من حق المرأة أن تعيش كأي مخلوق.

ليس هذا فقط بل سعى الإسلام للإعلاء من شأن المرأة، وأعطاها قيمة في المجتمع والأهم من ذلك أنه ساوى بينها وبين الرجل، بعد أن كانت في المرتبة الدنيئة جعلها الإسلام في نفس المرتبة مع الرجل، وذلك من جميع النواحي، من ناحية الخلق مثلا فقد خلق الله كلا من الرجل والمرأة من نفس واحدة ودليل ذلك قوله تعالى:<< يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا >>[2]، تدل هذه الآية على الله سوى بين الرجل والمرأة في الحلق، أي أن الله خلق الرجل والمرأة من أصل واحد، لذلك فهما متساويان هذا ما يفند الاعتقاد السابق الذي يرى بأن الرجل أعلى قيمة من المرأة.

لم يقف الإسلام عند هذا الحد من المساواة بينهما، فقد ساوى بينهما حتى في الجزاء الذي يأجرانه على أعمالهما ودليل ذلك في قوله تعالى:<<من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون >>[3]، الإسلام رفع للمرأة شأنها وجعلها بنفس المرتبة مع الرجل، وهذا بدوره فرض على الرجل احترامها،

[1] سورة الأنعام، الآية: 140.

[2] سورة النساء، الآية: 1.

[3] سورة النحل، الآية: 97.

فإذا كان الإسلام يندد بأهمية العدل بين الناس، فعلى الرجل أن يعلم أنه ليس أفضل من المرأة.

أما في ما يخص الزواج، فقد وضع الإسلام له شروطا ووقواعد، وشدد على أهميته، وجعله رباطا مقدسا، فقد أعطى للمرأة حقها في القبول أو الرفض كما حدد لها مهرا لكي يعلي من شأنها حتى لا يكون الزواج أمرا سهلا، فيصبح عادة فمن أراد الزواج عليه أن يتعب، ويصفه الله تعالى في قوله:<< وكيف تأخذونه وقد قضى بعضكم إلى بعض وأخذنا منكم ميثاقا غليظا>>[1]، تدل هذه الآية على مدى أهمية العلاقة بين الرجل والمرأة، والتي من خلالها حمى الله المرأة من تلاعب الرجل وظلمه.

ففي الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق زوجته، فإنه يفعل ذلك سواء كان هناك سبب أو لم يكن، ولأن لله كان رحيما بالعباد ويعلم أن الإنسان ناقص وقد يقع في خطأ يندم عليه، فقد جعل الطلاق مرتين حتى إذا أخطأ الزوج يعود على خطئه ويرجع زوجته ودليل ذلك قوله تعالى: <<الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان >>[2]، رغم أن الطلاق يعتبر من أبغض الحلال عند الله إلا أنه سمح به لأسباب معينة، وقد أعطى للزوجين فرصة أخرى ليرجعا إلى بعضهما بعد الطلاق وكل ذلك رحمة من عند الله ورأفة بالمرأة .

لم يكتفي الإسلام عند هذا الحد بل أعطى المرأة حق الميراث، فالمرأة في الإسلام يمكنها أن ترث والدها أو زوجها أو الأقربون، بعد أن كانت محرومة منه لعصور مضت، ودليل ذلك في قوله تعالى:<< للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيب مفروض>>[3]، تحثنا هذه الآية على أن الله قد فرض للمرأة حق الميراث كما فرضه على الرجل، كما أعطاها حرية التصرف في مالها لقوله تعالى: << للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما >>[4]، إن الإسلام كان المنقذ الذي أنقذ المرأة من ظلمات الجهل ووالظلم، فقد كان الدين الوحيد الذي منح المرأة حقوقها، وأنعم عليها بالحرية،

[1] سورة النساء، الآية:21.

[2] سورة البقرة، الآية: 229.

[3] سورة النساء، الآية: 7.

[4] سورة النساء الآية: 32.

كي تصبح كائنا ذا أهلية يمكنه التصرف بعقله بعد أن كانت تعتبر كائنا معيبا ناقصا ومشوها.

لا أحد ينكر مدى عظمة الإسلام، ورحمته على كل المسلمين، وأنا أوافق الدكتورة مريم نور الدين فضل الله حين وصفت الإسلام بأنه الطريق الناجح والخطة الوحيدة التي أظهرت قيمة المرأة ومكانتها في هذا الكون [1].

[1] مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص32.

المبحث الثالث: مكانة المرأة في العالم الغربي الحديث.

عاشت المرأة واقعا مريرا وظروف قاسية على مر العصور القديمة، كما لاحظنا سابقا باستثناء وضعها في ظل الإسلام، ففي العصور ما قبل الإسلام كانت تعيش مهمشة وبلا قيمة وليس لها اعتبار لا في مجتمعها ولا في تراثها، باختصار كانت تعيش حياة مزرية لا تحسد عليها، لكن بعد التطور الذي حدث مؤخرا في الفترة الحديثة تأملت المرأة في أن يصلح حالها وتستقيم حياتها، طامعة أن تنير حياتها في هذه الفترة سواء في المجتمعات الغربية أو المجتمعات العربية، وهنا وقع الفكر في تضارب أمام تصور المرأة من ناحية إمكانية أن تكون عنصرا فعالا يساهم في المجتمع كفاعل مبدع، ومن جهة أخرى أنها محكوم طائع لا تصلح إلا لأن تكون تابعة خاضعة للرجل، وأنها مخلوق من الدرجة الدنيا، فكيف سيكون وضع المرأة في زمن تحكمه الأيديولوجيا الاجتماعية التي تعد الذوات أساسا للوصول إلى الفكرة أو المعرفة؟[1].

أولا_روسو والمرأة :

جون جاك روسو فيلسوف العدالة والمساواة هو في الحقيقة يعتبر اكبر عقبة في طريق حرية المرأة في المجتمع الغربي الحديث؛ فمعظم أفكار روسو كانت مستوحاة من الفكر اليوناني القديم؛ حيث أن يعتبر المرأة وجدت في هذا العالم لتنفيذ مهمة أوكلتها إليها الطبيعة، وهي تحقيق رغبات الرجل، حيث نجده يحدد لها خصائص كالجمال والنقاوة والمرح وكل ذلك من أجل الرجل، فالمرأة في نظره مجرد وسيلة ليحصل الرجل من خلالها على المتعة، وبالتالي نراه يضع الرجل في المرتبة الأعلى كونه الأقوى ويضع المرأة في المرتبة السفلى كونها الأضعف[2]

فالمرأة في نظره خلقت من أجل الرجل ولهذا فدورها يقتصر في إشباع رغباته والاعتناء بالأطفال وهو يحدد لذلك تربية خاصة بالفتاة لتلعب دورها ببراعة[3]، فنجده في كتابه إميل والتربية يقدم للوالدة نصيحة في تربية ابنتها فيقول لها: <<أيتها الأم العاقلة لا تجعلي من ابنتك رجلا صالحا، فذلك ينطوي على تكذيب الطبيعة، بل اصنعي منها امرأة صالحة،

[1] علي عبود المحمداوي و آخرون، الفلسفة والنسوية، المرجع السابق، ص24.

[2] نفس المرجع، ص25.

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة..

وثقي بأن هذا الأفضل لنا ولها >>[1]، المرأة الصالحة التي يقصدها روسو في قوله، ليست المرأة المثقفة العالمة الحكيمة، إنما يقصد المرأة التي يمكنها أن تقوم بدورها في البيت على أكمل وجه من ناحية الخياطة والطبخ وكما لا بد لها أن تتلقى تربية ثقافية، غير أن هذه الثقافة التي خصها روسو للمرأة لا تخرج من إطار الثقافة الجمالية تتعلم من خلالها طريقة اللباس والتزيين وتسريح الشعر، كل هاته الأمور يرى روسو بأنها تتلاءم مع طبيعة الأنثى أكثر من المجالات الأخرى وهذا إقرار واضح من روسو بالتفوق الذكوري على الإناث[2] .

هذا وحده يجعلنا ندرك تمام الإدراك أن موضوع العدالة الذي تطرق إليه روسو في كتابه العقد الاجتماعي وجعل من المساواة مبدأ لهذه العدالة موضوع مشكوك في صدقه، فنحن حين نقرأ شعاره القائل:<< كل إنسان يولد حرا سيدا لنفسه لا يستطيع أحدا أن يخضعه>>[3] نظن أنه يتكلم على جميع البشر بما فيهم (نساء ورجالا)، لكن حين نحلل أفكاره حول المرأة نصل إلى موقف ينفي تماما صدق هذا الشعار لأنه حين ذكر روسو كلمة إنسان كان يعني بيها الرجال فقط دون النساء وروسو هنا لم يستثني المرأة من العدالة فقط، بل استثناها من الإنسانية ككل، ولهذا نجد الانثروبولوجية الأمريكية مرغريت ميد* تتحدث عن هذه الصورة المعقدة غير المقنعة التي طرحها وروسو حول المرأة فتقول: << إذا تصورنا إقامة معرض لأدوات تعذيب المرأة وقتلها ففي ظني أن روسو سوف يحتل مكان الصدارة في مثل هذا العرض المرعب>>[4]، إن هذا التصور الذي قدمته المفكرة مرغريت ميد، والذي يضع روسو في قائمة المجرمين في حق المرأة، يعبر لنا عن مدى قسوة وبشاعة موقف روسو من المرأة، بحيث جعل المرأة تظهر بصورة دنيئة، فحتى نظرة أفلاطون للمرأة لا تكاد تظهر أمام بشاعة منظرها في تصورات روسو، وقسوة أحكامه بخصوصها، رغم أنه ادعى العدالة بين الناس، ولكن أي عدالة تلك وهي التي تستثنى المرأة من قائمة الإنسانية.

---

[1] جان جاك روسو، إميل والتربية، ترجمة: عادل زعيتر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط، 2015، ص668.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص49.

[3] جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ب ط، ب ت، ص14.

*مرغريت ميد: هي واحدة من أكثر علماء الإنثروبولوجيا الثقافية شهرة، في الوم أ ، من مواليد 16 كانون الأول 1901، في فيلادولفيا، بأمريكا، (مؤسسة مؤمنون بلا حدود، للدراسات و الأبحاث، https://www.mominoun.com ، تاريخ الدخول إلى الموقع: 21:15، 2020/03/19).

[4] جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة: عادل زعيتر، الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ب ط، ب، ص40.

ليس هذا فقط فروسو يرى بأن المرأة لا بد أن تدرك أن هناك اختلافات بينها وبين الرجل، وأن هذه الاختلافات طبيعية وعليها أن لا تشتكي منها، بل لابد أن تتقبلها كونها أمر طبيعي لا نقاش فيه، ونجده يفصل ذلك في كتابه أصل التفاوت بين الناس؛ حيث يقول: << التفاوت بين الرجل والمرأة باعتباره أمر طبيعي لا حيلة لنا فيه، لذا فعلينا أن نتقبله كما هو، وأن نربي الفتاة على هذا الأساس وهي أضعف من الرجل قوة بدنية وقدرة عقلية، أشد حساسية أكثر انفعالا، مكانها المنزل والعناية بزوجها أولا وصغارها ثانيا، لا تشترك في الحياة السياسية ولا تلعب دورا في الحياة الثقافية >>[1].

والمعنى من هذا الحديث أن روسو يحاول إقناع المرأة بأن الرجل أعلى قيمة منها، وأنها أضعف منه ولا يمكنها أن تكون ندا له، حيث نجده يقر بذلك في قوله: << أنها ينبغي على المرأة أن تكون أكثر قيمة كامرأة وأقل قيمة كرجل >>[2].

إن هذا التقرير الذي أقره روسو في حق المرأة يجعلنا ندرك رأيه في المرأة بوضوح فمن الملاحظ أن روسو تغلب عليه النزعة الذكورية وهو بذلك يجعل المرأة في المرتبة الثانية بعد الرجل، في حين أن الرجل يملك القوة والقدرة ما يخوله لتولي الوظائف العامة التي لا يمكنها أن تتولاها بسبب الضعف الذي يسيطر على طبيعتها، ولهذا فهو يرى أن مكانها المناسب هو البيت ووظيفتها الملائمة هي الاهتمام بالزوج وبالأولاد.

كما أن سلطتها لا تتعدى إطار المنزل حسب رأيه؛ فهو كما لاحظنا في قوله قبل قليل يستثنيها منالمشاركة في الأمور السياسية والثقافية، وبهذا فهو يحد من قدراتها العقلية والجسمية كما يتجلى هذا في قوله: << لم تخلق المرأة لا للعلم ولا للتفكير ولا للسياسة، إنما خلقت لتكون أما >>[3]، نحن لا ننكر أن المرأة خلقت لتكون أما ونحن مع روسو في ذلك، لكن الأمومة ليست الخاصية الوحيدة للمرأة، فلو أن المجتمع أعطى لهذه الأخيرة فرصة لأصبحت قوة مبدعة وقوة هادفة، ولكن للأسف فقد فعل بها المجتمع والتقاليد ما أراد وعجنها بالشكل الذي أعجبه، حتى أصبحت هي تساعد هذا المجتمع في تشكيلها بتلك الشاكلة.

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، روسو و المرأة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص66.

[2] نفس المرجع، ص88.

[3] علي عبود المحمداوي و آخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص78.

طرح روسو موضوع العدالة من خلال أساسين: الأول هو المساواة وهنا روسو لم يقصد المساواة بين المرأة والرجل بل قصد المساواة بين الرجل والرجل، وهو بذلك جعل الرجل في مرتبة أعلى من المرأة، وعلى هذا الأساس أقر روسو بوجود اختلاف وتفاوت بين الجنسين وهو الأساس الثاني لعدالته، الذي يقوم على الاختلافات العقلية والجسدية والأخلاقية بين الرجل والمرأة؛ نلمس ذلك في شذرة من كتابه إميل حيث يقول: << فالصبي ينشد الحركة والضوضاء والطبول والمركبات الصغيرة وما إلى ذلك، أما الفتاة فهي تفضل ما يمتع النظر ويصلح للزينة كالمرايا والحلي والأشرطة لاسيما الدمى >>[1]، تكلم روسو عن الاختلاف بين الجنسين، كاختلافهما في الميولات والاهتمامات حسب تعبيره السابق، ليس هذا فقط إنما أرجع تلك الاختلافات إلى الطبيعة، وكأنه يقول أن هاته الاختلافات هي اختلافات حددتها طبيعية وفي هذا الصدد يقول: << إذا اشتكت المرأة من هذا التفاوت كانت المخطئة فليس هذا التفاوت نظاما بشريا على الإطلاق ولا هو حكم مبتسر من أحكام العقل، بل هو من عمل الطبيعة >>[2].

روسو يظهر هنا كمن كذب كذبة فبررها ثم صدقها،فنحن نعلم جيدا أنهناك اختلافات طبيعية بين الرجل و المرأة و هذا أمر بات بديهي في نظرنا، لكن ما زاده روسو على هذا البديهي أنه أراد أن يسوغ هذا الاختلاف كدليل في جعله للمرأة أدنى من الرجل.

أما عن فكرته التي تقول بأن ما تفضله المرأة هو ما يمتع نظرها فقط فهذا صحيح إلى حد ما فالمرأة تهتم بالأذواق أكثر من الرجل.

ولكن الغريب بأفكار روسو حول المرأة أننا في بعض المطارح نجده يمدح المرأة فيقول: << إن المرأة في ذات الوقت صريحة وحكيمة وهي ترغم الأخر على احترامها...وأنها مملكة >>[3]، نلمس تناقض واضح في أفكار روسو عن المرأة من خلال هذا الحديث، فهو تارة يقول بأنها لم تخلق لا للحكمة ولا للتفكير فيما نجده الآن يمدحها بقوله أنها حكيمة، ترى ما سبب هذا التناقض، هل يعقل أن روسو قد عاد عن رأيه في الحكم عن المرأة إذا كان

[1] جان جاك روسو، إميل والتربية، مرجع سابق، ص673.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، روسو والمرأة، مرجع سابق، ص56.

[3] نفس المرجع، ص26.

ذلك صحيحا فما السبب؟، هل هناك امرأة في حياته جعلته يتأثر بها ويمدحها في شذرات من كتبه.

إن تصريح روسو هذا مستحيل أن يكون بدر منه بهدف إعلاء من شأن المرأة وهو نفسه الذي تسيطر عليه النزعة الذكورية ليس هذا فقط بل هناك تجليات أخرى للتناقض الذي وقع فيه روسو خلال طرحه لموضوع المرأة ومن بينها أنه يرى: << كلا من الرجل والمرأة خلق من أجل الآخر، غير أن إتباع أحدهما ليس مساويا للآخر، فالرجال تابعون للنساء برغباتهم والنساء تابعات للرجال برغباتهم واحتياجاتهم ونحن نعيش بدونهم أكثر مما يعشن بدوننا وهن تابعات لمشاعرنا ولما نجعل من ثمن لمميزاتهن ولما يكون عندنا من إيمان بفتنتهن وفضائلهن ولهذا قضى قانون الطبيعة أن يكون النساء تحت رحمة أحكام الرجال من أجل أنفسهن ومن أجل أطفالهن >>[1].

التناقضات الموجودة في هذا القول الذي طرحه روسو هي: أنه في البداية جعل المرأة والرجل في نفس المرتبة على حد تعبيره الواحد منهما خلق من أجل الآخر بالإضافة إلى ذلك جعلهما تابعان لبعضهما، لكن تارة أخرى نجده يستدرك ما قاله سابقا عن تبعية الرجل للمرأة، حيث يرى أن تبعية الرجل ليست كتبعية المرأة؛ فهي تزيد عن تبعية الرجل إليها بالاحتياج له، ولكن النقطة التي لا نوافق روسو فيها هي، التي تقول بأن الرجل يمكنه العيش بدون المرأة أكثر مما يمكن أن تعيشه المرأة بدون الرجل، ففكرة العيش لا تقتصر لا على الرجل ولا على المرأة؛ فهناك أمور كثيرة يمكن لكلا الجنسين العيش من أجلها ومن خلالها.

ثانيا: شوبنهاور والمرأة

شوبنهاور شخصية غريبة فريدة من نوعها، عاش حياته من بدايتها متشائما، يغلب على نظرته للأشياء طابع الشك، حيث كان يشكفي كل من حوله، لا يرتاح لأحد، ولهذا نجده يحلل كل ما يراه صوب عينيه وكانت ثقته بالناس منعدمة، بينما كانت طبيعة والدته يوهانشوبنهاور أول امرأة منفتحة للحياة ملأها التفاؤل والمحبة والثقة بالنسبة لابنها أول امرأة في حياته والتي من المفروض أن يكون متعلقا بها وبشدة، إلا أنه لم يكن بينهما اتفاق ولا توافق وذلك بسبب اختلاف طبيعتهما، فقد كان الولد ينفر من طبيعة والدته وكان

[1] إمام عبد الفتاح إمام، روسو و المرأة، مرجع سابق، ص66.

يصفها بأنها ساذجة وسطحية وأنها تهتم بالغلاف وتتغاضى عن المحتوى في كل الأمور من حولها[1].

إن هذا النقد الموجه للمرأة من طرف شوبنهاور بداعي الحقد والبغض الذي يشعر به اتجاه طبيعة والدته، هذا بدوره سبب واضح في سوء العلاقة بين شوبنهاور والمرأة عامة؛ فقد كانت نتيجة لتجربة شخصية عاشها مع أقرب الناس إليه، هذا ما جعل معرفته للمرأة محدودة، حيث لم يكن يتعامل مع جنس النساء، بسبب حقده على والدته، يقول الدكتور وفيق غريزي<< فهو لا يعرف في المرأة إلا أنها ناشزة ومخطئة ويتخيل أنه ليس هناك طرز ونماذج أخرى، ويرى بأن الرجل الذي يحمل نفسه مسؤولية إعالة زوجته إنما يكون أحمقا>>[2]، والمعنى من هذا أن شوبنهاور أصبح يرى أن جميع النساء خائنات ومخادعات، وبالتالي لا يستحققن معاملة الرجال بالحسنى، ولهذا فهو يسخر من الرجال الذين يعتنون بنسائهم ويصفهم بالحمقى لأنه في نظره جميع النساء ناكرات للجميل وأكبر مثال يقدمه لنا شوبنهاور على ذلك هو والدته التي تحررت من علاقتها الزوجية مباشرة بعد وفاة زوجها، على حد تعبير شوبنهاور فكانت يوهانا شوبنهاور بالنسبة لابنها امرأة متحررة أكثر من اللزوم، ولذلك فهو يرى بأنه لا يجب إعطاء المرأة حرية الإرادة فيقول في هذا الصدد:<<يجب ألا يسمح للنساء بتاتا بتدبير شؤونهم الخاصة بل يجب أن يكن تحت إشراف الرجل>>[3].

والمعنى من هذا أن شوبنهاور يرى بأنه إذا تركت النساء تتصرف بحرية وبأهلية فإن هن سيتمردن وبالتالي يخرجن عن المنطق بتصرفاتهن ويقعن في الخطأ، وهذا تصريح واضح من شوبنهاور بأن المرأة لا بد أن تبقى تحت وصاية الرجل حتى لا تسبب له المتاعب وهي نفس الفكرة التي طرحها أفلاطون قبله.

كما أن شوبنهاور يصف المرأة بأنها المجرمة التي تحاول إغراء الرجل بمفاتنها وبالتالي تدفعه ليتناسل معها، والرجل في نظرته لا حيلة له أمام هذا السحر الذي تلقيه المرأة عليه، غير أن هذا السحر حسب شوبنهاور لا يدوم فجمال المرأة زائل وهو في

[1] وفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفارابي للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص28 وما بعدها.

[2] نفس المرجع، ص258.

[3] وفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، مرجع سابق، ص257.

ذلك يشبهها بالنملة التي تفقد جناحيها بعد عملية الإلقاح، وذلك لأنهما قد يكونان عقبة أمام تربية الصغار، كذلك يصور المرأة التي في رأيه تفقد جمالها بعد إنجابها الولدين الأولين، كما يرى أن الرجل لا يدفعه في التناسل مع المرأة سوى مظهرها ونسبة جمالها وسحرها، حيث أنه كلما غاب الجمال وقل سحر المرأة زاد نفور الرجل منها، والرجل في نظر شوبنهاور أجمل من المرأة، لذلك نجده يقول عن الرجل الذي يشبه المرأة بالجنس الطيف بأنه أسير العواطف والشهوات والرغبات الجنسية[1].

والمعنى من هذا أن شوبنهاور كان قد ربط عملية التناسل بمدى جمال المرأة وبسحر مفاتنها وكلما زال جمال المرأة انتهت مهزلة عملية التناسل في نظره .

أما من الناحية الثقافية فكانت نظرت شوبنهاور للمرأة نظرة إقصاء وتحقير، وحاول من خلالها أن يجعل من المرأة حيوان غريزي ليس لديها عقل تفكر به، فهو يقصيها من عدة مجالات كالموسيقى والفنون الجميلة كما نجده يحد من قدراتها ويستصغرها ولذلك يقول: << لم تتمكن امرأة واحدة بين جميع أفراد هذا الجنس ممن تتميز بفكر راقي أن تنتج عملا واحدا في حقل الفنون الجميلة مما يكن أن يعتبر أصيلا، أو أن تقدم للعالم أي عمل ذا قيمة دائمة في أي مجال>>[2].

هذا دليل آخر يقدمه شوبنهاور ليبرر من خلاله حجته القائلة بأن المرأة لا تصلح إلا لمجال واحد وهو المجال الذي اختارته لنفسها وهو عملية إغواء الرجل ودفعه للتناسل، وذلك باستخدام سلاحها الغريزي، وهو السلاح في نظر شوبنهاور هو وسيلة المرأة الوحيدة التي تحصل من خلالها على الطفل أي حفظ النوع، وهي نفس النقطة التي انطلق منها نيتشه لطرح قضية المرأة فالطفل على حد تعبير نيتشه إغواء لا يمكن التخلي عنه[3]، ولهذا فكلاهما يريانها سطحية في نظرتها للأمور ولا تصلح لتشارك في مجالات أخرى يدخل فيها استخدام العقل .

نظرة شوبنهاور إذا للمرأة انحصرت بين بغض وحقد واستصغار، إلا أن هذه المشاعر سرعان ما تغيرت وذلك سببه امرأة أيضا وكانت هذه المرأة تدعى كارولين باجمن

[1] نفس المرجع، ص256، ص257.

[2] نفس المرجع، ص257.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص77.

أحبها حبا شديدا لدرجة أنه صاح عشقا: << ولما لا آخذ هذه المرأة إلى منزل، حتى لو كنت رأيتها تكسر الأحجار في الطريق >>[1].

يبدو أن شوبنهاور قد سقط هو الآخر في تيار المرأة التي كان يحقد عليها ويصفها بالمجرمة والذي كان يسخر من الرجال الذين كانوا يهتمون بنسائهم، وهاهو الآن يقدم تصريح واضح يعلن في بوضوح حب للمرأة، ولكن لا يزال في نظره الحب والزواج يتعلقان بالنوع؛ فنجده يوضح ذلك بقوله:<< الزواج هو الآخر لا يقوم إلا من أجل تحقيق الغاية، حفظ النوع >>[2]، فالغاية إذا من الحب والزواج حسب شوبنهاور هو الحفاظ على النوع أو بالأحرى الطفل.

إذن فنظرة شوبنهاور للمرأة كانت بدايتها ونهايتها متعلقة بتجاربه الخاصة، وهذا جعله يكتشف نظريات عديدة حول علاقة المرأة بالرجل والتي سنجدها عند نتشه، محاولا معالجتها وتأكد منها.

ثالثا: الحركة النسوية(كموقف داعم للمرأة)

ظهرت هذه الحركة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كثورة نسوية ضد كل ما يجعل المرأة في مرتبة دونية، حيث كانت غايتها إعادة الاعتبار للمرأة كونها جزء من المجتمع، و من أهم مطالب هذه الحركة (الحرية، المساواة، العدالة)، مطالبين أيضا بتحقيق العدالة الاجتماعية التي جاء بها روسو ذلك لأن << المواطنة كمفهوم أسست له أنوار القرن الثامن عشر، تدعو إلى عقد أساسه أن القانون هو المنظم للحياة الاجتماعية وأن الأفراد متساوون بمقتضى هذا العقد>>[3]، اعتقد رواد الحركة النسوية أنه بمطالبتهم قيام العدالة الإجتماعية بالمفهوم الروسوي، ستتحقق غايتهم في الحرية والمساواة مع الرجل سواء في الحياة الإجتماعية أو الحياة السياسية، ولكنهم إصطدموا بحقيقة مفزعة مفادها أن تلك العدالة الروسوية كانت تعني الرجل فقط من الإنسانية باستثناء النساء، ماجعل هذه الحركة تثور ضد كل ما جاء به روسو، بل إنها إعتبرته كعقبة في طريق تحررها.

[1] توفيق غريزي، المرجع السابق، ص259.

[2] توفيق غريزي، شوينهاور و فلسفة التشاؤم، ملرجع سابق، ص263.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص27.

لكن رغم ذلك إلا أن المرأة لم تستسلم وحاولت أن تزاحم الرجل في الكثير من الوظائف التي كانت آن ذاك مخصصة فقط للرجل دون المرأة، وبالفعل إستطاعت أن تبرز قدرتها في تحمل مسؤوليات وأعباء الحياة[1].

كما أن هذه الحركة بذلت جهدا كبيرا في إثبات هويتها وقدرتها العقلية وذلك عبر <<مجموعة من الأسس التي يمارسن عليها النقد للكشف عن مواطن الرؤية المنقوصة للمرأة فتعلي بنقدها من شأن هذا الكائن المتخفي الغير مرئي ليتحول من إنسان فاقد لإنسانيته إلى إنسان أعلى يسعى دائما إلى تجاوز انسانيته، إلى ماهو أفضل له ولغيره>>[2]، لقد سعت النسوية لإيجاد سلاح قوي توجهه ضد المركزية الذكورية، فاستخدمت النقد كحيلة <<هذا ما أكدت عليه هيلين سكسوس* في السعي إلى استخدام لغة بديلة عن لغة الرجل، تمثل تجارب المرأة فيترسخ مفهوم أنثوي للكتابة مما يرفع من شأنها وموقعها مجتمعيا بشكل جوهري>>[3]، لقد أضهرت المرأة من خلال هذه القفزة الفكرية، قوة فكرية هائلة، وجعلت الرجل يقف عاجزا أمام هذا المجال الذي يخص المرأة فقط والأقوى من ذلك أنها نجحت في تحديها للرجل وذلك من خلال فرضها لنفسها لأنها لو لم تفعل ذلك، تقول سيمود دي بوفوار*:<< فأنها لن تصبح إنسان كاملة مهما كانت محترمة، تبقى في موقع تابع أو ثانوي أو طفيلي، ولعنتها تكمن في أنها لا تمسك بمعنى وجودها بيدها>>[5]، تصف لنا المنظرة الإجتماعية سيمون دي بوفوار حالة المرأة التي لا تحرك ساكنا أمام كل تلك التحديات التي تواجهها في سبيل تحررها، كما أنها توضح لنا عواقب إستهتار المرأة بقدراتها وطموحاتها.

---

[1] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2] نفس المرجع، ص169.

*هيلين سكسوس: هي إستاذة نسوية وكاتبة وشاعرة وفيلسوفة وناقدة أدبية، من مواليد 5 يونيو 1937، في فرنسا، اشتهرت بمقالتها the laugh of medusa، التي تعني بالعربية (ضحكة ميدوسا)، والتي جعلتها واحدة من المفكرين الأوائل في النظرية النسوية.

[3] علي عبود المجمداوي و آخرون، مرجع سابق، ص173.

*سيمون دي بوفوار: هي سيمون أنستين لوسي ماري برتراند دي بوفوار، تدعى سيمون دي بوفوار، المولودة في 9 يناير1908، في باريس، كاتبة ومفكرة فرنسية وفيلسوفة وجودية وناشطة سياسية ونسوية، بالإضافة إلى أنها منظرة إجتماعية، توفية في 14 أفريل 1986، في باريس بفرنيا.

[5] سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ترجمة:مجموعة من المترجمين، ب ب، بط، ص198.

خلاصة:

إذن فقد كان علينا المرور على هاته الحقب التاريخية، وحاولنا تقديم شرح ضئيل للتطورات التاريخية التي مرت بها المرأة، وذلك لتحديد الأسباب التي ساهمت في تشكيل الصورة التي انتهت إليها المرأة إلى حد الآن في تصورنا، حيث ركزنا في هذا الفصل على عدة جوانب مهمة، سواء من الناحية الإجتماعية أو الناحية الثقافية أو السياسية، وقد لا حظنا عموما أن صورة المرأة نالت نصيبها من الذل والمهانة والتحقير، على مر آلاف السنين.

لاحظنا في البداية أن صورة المرأة في الحضارة اليونانية كانت مدنسة ومشوشة، فالمرأة الإغريقية عاشت مسلوبة الإرادة في كل شيء وبلا مكانة، وكأنه لا معنى لوجودها، وقد كان للتراث الإغريقي تأثير كبير على الفلاسفة اليونانيين، مما جعل أفكارهم كلها داعمة لما جاء في التراث ومن بينها أفكارهم وتصوراتهم حول المرأة، فكان لأفكارهم تأثير كبير في مجتمعنا ومفكرينا.

أما ما اكتشفناه عن مكانة المرأة في القرون الوسطى، فقد كانت تعيش ظروفا قاسية حتى سواء في المجتمع اليهودي أو المسيحي بسبب اعتقادهم أنها المسبب الأول في شقاء البشريةأما في الجاهلية فقد كانت تعاني ويلات الظلم والجهل وبالكادي كانت تعيش حتى تذوق طعم الذل و المهانة، لكن بعد دخول الإسلام بعد دخول الإسلام نالت المرأة جميع حقوقها.

والأمر في العالم الغربي الحديث، لم يختلف كثيرا؛ لأنه رغم إنفتاع العقل ووتنوع المذاهب الفكرية، إلا أن ذلك لم يحرز تقدما فيما يخص موضوع المرأة في هاته الفترة، إلا أنه خلال منعرج القرن العشرين أفاقت المرأة من سباتها وأصبحت تطالب بحقوقها تحت ما يسمى بالحركة النسوية.

الفصل الثاني:

فكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه

تمهيد:

تعد فكرة الإنسان الأعلى من بين أهم الأفكار النيتشوية، التي بنى عليها نيتشه فلسفته العامة، هذا الإنسان الذي ألصقت به عدة مفاهيم خاطئة، بسبب سوء الفهم الذي تعرضت له فلسفة نيتشه، فكان لابد من البحث في هذه الجزئية الهامة، بين التأويل الخاطئ والتأويل المقبول عند نيتشه، ليتراءى لنا بعد ذلك مدى إمكانية وضع المرأة ضمن أنموذج هذا الإنسان الأعلى، وهذا ما أردنا التعرف عليه من خلال فكر الفيلسوف نيتشه، انطلاقا من الركائز التي اعتمد عليها في البحث عن مفهومه للإنسان الأعلى، بما هو مقبول وما هو مرفوض، وعلى هذا الأساس أدرجنا هذا الفصل للتقرب من ذلك المفهوم الجوهري، انطلاقا من عرضنا للنقد الذي وجهه نيتشه ضد التأويلات الخاطئة في نظره والانتقال إلى التأويل الجديد الذي أولاه اهتماما بالغا، لرصد أهم التأويلات التي قام عليها هذا المفهوم؟ كيف كان نقد نيتشه للتأويلات السابقة لفكرة الإنسان الأعلى، فيما تمثل مفهومه للإنسان الأعلى؟ وكيف كان تعليله على ذلك؟ وما لذي يميز تأويله الجديد عن باقي التأويلات السابقة؟.

المبحث الأول: موقف نيتشه من التأويلات الخاطئة لفكرته عن الإنسان الأعلى

تعرضت فكرة الإنسان الأعلى التي جاء بها نيتشه للتفسير الخاطئ، وذلك ما جعل نيتشه يغتاظ منها، حيث كانت تأويلات قاصرة ومفاهيم خاطئة، ليس لها أي علاقة بالمفهوم الذي أراده نيتشه من نظرية "الإنسان الأعلى"، فكان موقفه منها النقد اللاذع، كونها تأويلات جاحفة في حق الإنسان الأعلى وقيمته الفكرية.

أولا: الإنسان الأعلى ليس الإنسان الأخير:

الإنسان الأعلى ليس الإنسان الأخير، لأن ذلك الإنسان الأخير حسب نيتشه هو<<الإنسان الذي فقد كل مثاليته وكل قدرته في التغلب على ذاته كما أنه الإنسان الذي لا يجرؤ على أمر ولا يبتغي من بعد شيء، والذي جعل ماضيه بليدا، وقد سئم اللعبة، إنه رجل العدمية السلبية، والرجل الذي لم يعد يؤمن بشيء والذي خمدت فيه القوة الأخلاقية في طبيعته الإنسانية، وهو يعيش في الحقيقة حياة بائسة، رغم ثقافته الواسعة، إنه الرجل الذي لم يعد مهما بالنسبة إلى ذاته، ولم تعد تغزوه الحماسة>>[1]، معنى هذا أن الإنسان الأخير في نظر نيتشه لا يملك الشجاعة لتجاوز ذاته، والتفوق على جميع من حوله كما أنه إنسان لا يملك القدرة على خوض المغامرات وركوب الأخطار، والأكثر من هذا أنه الوارث للأخلاق والقيم السائدة والخاضع لها، والأخطر من كل ما سبق أن روح الحماسة فيه انعدمت وهي أكثر صفة لا بد من توفرها في الإنسان ليصل إلى مرتبة الإنسان الأعلى.

يحاول نيتشة وبأي طريقة أن يدحض فكرة أن الإنسان الأخير هو الإنسان الأعلى وذلك من خلال التمييز بينهما، يقول نيتشة عن الإنسان الأخير انه :<< الكائن الذي تلاقت فيه الغريزة المكتئبة والعدمية* مع تلك الغرائز الأخرى التي تريد التوصل في الأخير لحفظ قيمة الحياة وزيادتها بوصفها مضاعفة لكل أنواع البؤس أو كحافظة لها >>[2]، إذن هل يعقل أن الإنسان الأعلى بوصفه إنسانا متحررا صاحب إرادة وليست أي إرادة بل الإرادة الخلاقة، الذي يسعى في حياته للمستقبل البعيد، أن يكون في نفس المرتبة مع هذا الإنسان الذي لا

---

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، دار المعرفة الجامعية، السويس، ب ط، 1999، ص197.

*العدمية: مذهب يرى أن العالم كله بما فيه من وجود الإنسان عديم القيمة، وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي، والعدمية ثلاث أقسام العدمية الفلسفية، والعدمية الأخلاقية، و العدمية السياسية، (د: عرفات كرم ستوني، الأمين العام لمنتدى الفكر الإسلامي، النزعة العدمية وصلتها بالإباحية، كردستان، 2011، ص1).

[2] إسماعيل فائز، ملامح القراءة الدولوزية لفلسفة نيتشه، تاريخ الدخول إلى الموقع، 30-02-2020، 10:09 http://www.Anfasse.org.

يناشد من حياته إلا اليسير على حد تعبير نيتشه حين وصفه << أنه إنسان له في النهار لذته اليسيرة وفي الليل لذته اليسيرة >>[1]، بمعنى أن الإنسان الأخير هو عبارة عن كائن يعيش حياته الطفيليين الذين يبحثون في نفوسهم عن السلم الدائم، كما أنهم يهابون الحروب التي هي في نفس الوقت الوسيلة التي يسعى من خلالها الإنسان الأعلى إلى التعرف على ذاته الحقيقة وعلى قدراته الكامنة.

ويصرح نيتشه في قوله: <<إن أدنى فئة وأحطها في أي نوع إنما هم الطفيليون، وما يغذي هذه الفئة الدنيئة إلا أرفع فئة وأشرفها في ذلك النوع، وكيف لا يتراكم العدد الأوفر من الطفيليين على نفس طال سلمها ... كيف لا يتراكمون على نفس رحب صداها فتراكمت فيه تائهة مستسلمة >>[2]، يلمح لنا نيتشه من خلال هذا النص عن فكرة مهمة وهي فكرة نظام المراتب؛ فكما نعلم أن نيتشة يرفض فكرة المساواة،ويتضح ذلك من خلال الصراع القائم بين فئة القطيع الذي يعيش تابعا للأقوى، الذي هو الإنسان المتفوق.

يقدم نيتشه تعريفه للإنسان الأخير بأنه إنسان مقيت ونموذج رديء من الإنسانية، وهو الخطأ الأعظم على هذه الأرض، وهو أيضا ذا صورة منافية تماما للأنموذج الإنسان الأعلى، ذلك الأنموذج المتميز الذي لم يوجد بعد.

يؤكد لنا نيتشه في إحدى الشذرات من كتاب هكذا تكلم زارادشت المعنونة "النذير" عن الاختلافات الموجودة بين هذين النموذجين حيث يقول:<<لقد نهضت أنا، أما هؤلاء الرجال الراقون فلا يزالون فلا يزالون مستغرقون في نومهم، أيكون هؤلاء الرجال رفاقي الصادقين، لا ليسو هم من أنتظر بين هذه الجبال>>[3]، يلمح نيتشة إلى نقطة مهمة جدا وهي أن الإنسان الأعلى لم يوجد بعد، ولذلك ليمكن أن يكون الإنسان الأخير هو الإنسان الأعلى؛ فإذا كنا نحن من نمثل الإنسان الأخير، فهذا يعني أن الإنسان الأعلى لم يوجد بعد، بل لابد من خلقه عبر تجاوزنا لذواتنا.

---

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة في قراءة نيتشة، مرجع سابق، ص197.

[2] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص177.

[3] عبد النور بورراش، موقف نيتشه من الميتافيزيقا، إشراف: الشريف زيتوني، جامعة الجزائر، 2008_2009، (رسالة ماجستير)، ص49.

ثانيا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا داروينيا:

هناك الكثيرين ممن يعتقدون أن فكرة الإنسان الأعلى التي قال بها نيتشة هي في الأصل فكرة داروين، ذلك فهم يعتقدون أن الإنسان الأعلى هو إنسانا داروينيا بالدرجة الأولى، غير أن أويغن فنك له رأي آخر حيث يرى <<أنه على الرغم من اعتماد نيتشه على مفاهيم بيولوجية في أطروحته "الإنسان الأعلى"، إلا أن ذلك لا يتعدى فعل الاستعارة لأفكار شائعة يصوغ بها مشكلته وهو ناتج عن تأثره بروح عصره>>[1]، يقدم أويغن فنك_ Eigen Funk_ تصريح يرد فيه على المعتقدين بداروينية الإنسان الأعلى، حيث صرح بأن تأثر نيتشة بمعاصريه جعله يستقي من مصطلحاتهم وهذا أمر طبيعي بين الفلاسفة، لكن هذا التأثر لنيتشه بأسلوب داوين لم يتعدى التأثر بالمصطلحات.

والدليل على ذلك أن نيتشة قد انتقد داروين بخصوص نظرية البقاء للأصلح؛ حيث يؤكد نيتشة بقوله: << إن نظرية البقاء للأصلح الداروينية ليست هي وجهة النظر الوحيدة التي توضح تقدم مواقع القوة في الإنسان أو في السلالة>>[2]، والمعنى من هذا أن نيتشه يرى بأن نظرية داروين الخاصة بتطور الإنسان وارتقائه الخاصة ليست النظرية الوحيدة التي تنظر في مشكلة التطور الإنساني تختلف اختلافا كبيرا عن نظريته، ومن بين الاختلافات التي إستنتجناها من خلال المقارنة بين هاتين النظريتين:

إذا كان داروين* يقصد بعملية تطور وارتقاء الإنسان على المستوى البيولوجي، فإن نيتشة عكسه تماما فهو يسعى إلى تطور وارتقاء الإنسان على المستوى السيكولوجي والدليل على ذلك قوله: << لقد وجب أن يتسامى عقل سيدك وتعلو فضيلته لأنك بهما تعلو أنت، والحق أنكم علوتم بارتقاء عقل الشعب وفضيلته>>[3]، معنى هذا أن نيتشه يقصد بفكرتي التطور والارتقاء اللتان استعارهما من داروين، التطور الفكري والارتقاء إلى أسمى المراتب

---

[1] نفس المرجع، ص53.

[2] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص202.

*داروين: هو تشارلز روبرت داروين، ولد في 12 فيراين 1809، في منطقة شروزيري، وهو عالم الإنجليزية في مجال الطبيعة الجيولوجية، كسب شهرته بمساهمته في نظرية النشوء و الإرتقاء التي نشرها في عام 1859، وقد أحدثت تلك النظرية ضجة كبيرة، (إحسان العقلة، من هو داروين، تاريخ دخول الموقع:11:12، 19_04_ 2020، https://mawdoo3.com).

[3] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص88.

الإنسانية، وهي مرتبة الإنسان الأعلى، فما يقصده نيتشه من هذه الفكرة يتجاوز كليا المعنى البيولوجي لفكرة التقدم والارتقاء الداروينية.

كما أن نيتشه يرى بأن داروين قد أهمل أعظم ملكة للإنسان وهي ملكة العقل ولذلك يقول: << يجب أن نحتاج إلى الذهن كي نتوصل إلى أن يكون لنا ذهن، إننا نفقده حين لا نعود بحاجة إليه، والذي يتوفر على القوة يستغني تماما على العقل>>[1]، يوضح لنا هذا القول الغاية الحقيقية والمفهوم الحقيقي لفكرة الإنسان الأعلى بمحاولة جاهدة من نيتشه في دحض الاعتقاد القائل بداروينية الإنسان الأعلى وذلك من خلال تمييزه بين هذين الأخيرين (الإنسان الأخير والإنسان الأعلى)؛ كون الإنسان الأعلى يعتمد في حيويته على العقل أو الذهن، وذلك للسمو نحو الأعلى، بينما الإنسان الدارويني يعتمد على القوة الفسيولوجيةللبقاء.

أما نيتشه فلا يقصد بالذهن تلك الملكة التي يشترك فيها الجميع، إن ما يرمي إليه وراء هذا التعبير كل الصفات المتعلقة بكلمة ذهن (كالذكاء، الاحتراس، اليقظة، القدرة على التحكم الذاتي)[2].

ثالثا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا نازيا:

لعل فكرة هتلر التي أطلقها عن الجنس الجرماني بأنه أرقى عرق في العالم، جعلت الكثير من شراح نيتشه يعتقدون أنه قد تأثر بما قاله هتلر عن أرقى إنسان، لاسيما أن هناك شبه عظيم بين هذين الأخيرين (نيتشه وهتلر)، ولعل هذا أيضا ما جعل النازيين يعجبون بشخصية نيتشه؛ حيث كانت تروقهم اللاعقلانية في تفكيره وكذا أسلوبه الناري الغاضب على كل القيم التي حول.

الأخطر من ذلك أنهم لامسوا النزعة النخبوية التي كانت مسيطرة على روح الشخصيتين، حيث اعتقدوا أن إنسان نيتشه الذي لابد له في مرحلة العلو، أن يضحي بالقطيع من أجل أن يتجاوز أخلاقهم الضعيفة ويسمو بذاته إلى الأعلى، هي نفس الفكرة

[1] فردريك نيتشة أفول الأصنام، ترجمة: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، ب ب، الطبعة الأولى، 1996، ص91.

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

التي جاء بها هتلر حين أباد الكثير من الضعفاء لأنه يحقد عليهم، ولأنه ويعشق الأقوياء والعظماء[1].

هذا بالتأكيد ما جعل نيتشه يثور غضبا من تلك التأويلات الخاطئة التي قدمها قارئوا فلسفته ولذلك نجده في كتابه "إرادة القوة" يتمنى لو أنه كتب بالفرنسية لكان أفضل حتى لا يفهمه القراء على أنه داعما لأي هدف دولي أو سياسي وبالأخص الألماني لكونه ألمانيا، فهذا قد يظهره نوعا ما في نظر البعض دعما بسبب فهمهم الخاطئ[2]، ما جعل نيتشة يصرح في كتابه "هذا هو الإنسان" << إن طبيعتي الخالصة تسمح بنظرة تتجاوز مجرد الآفاق المحلية والقومية والمحدودة، ربما أنا ألماني أكثر من الألمان المحدثين _مجرد الألمان الإمبرياليين الذين يمكن أن يوجدوا إنني أخر الألمان المضادين للسياسة >>[3]، معنى هذا أن نظرية نيتشة " الإنسان المتفوق " ليست لها أي علاقة بالسياسة أو بالمجتمع النازي، كما أنه لم يكن مناصرا للنازية أبدا ولم يكن حتى متعصبا لقومية معينة، وهذا النص يؤكد لنا ذلك.

إلى نفس الرأي يذهب الدكتور فؤاد زكريا بقوله أن الوطنية لم تعني شيئا مهما عند نيتشه، بل كان يعتبرها خادعة للشعب تستغلهم في سلب مصالحهم تحت شعار " القومية"، بينما هو كان يدعو إلى روح حرة جامحة عالمية والأعظم من ذلك أنه كان يناشد بناء جمهورية لا تسود فيها فكرة الانتماء أو القومية، أي جمهورية يتمتع شعبها بالحرية والتحرر والاستقلالية[4].

إذن فالذين اعتقدوا أن الإنسان الأعلى في فلسفة نيتشه هو إنسانا نازيا، فقد وقعوا في خطأ عظيم، وهذا الخطأ يشمل أغلبية قراء و شراح فكر نيتشه مع الأسف.

رابعا: الإنسان الأعلى ليس إنسانا أخلاقيا بالمعنى الدارج:

ينتقد نيتشة أصحاب الاعتقاد القائل بأخلاقية الإنسان الأعلى (بالمفهوم القديم للأخلاق)، كون تلك الأخلاق في نظر نيتشه هي أخلاق الضعفاء، فالإنسان الذي ينتظره نيتشه، إنسانا متحررا من كل تلك القيم الرديئة.

---

[1] مجدي كامل، فريدريك نيتشه (شيطان الفلسفة)، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، ب ط، 2011، ص213، ص214.

[2] صفاء عبد السلام جعفر، المرجع السابق، ص287.

[3] فردريك نيتشه، هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، هلا للنشر، الجيزة، الطبعة الأولى، 2011، ص31.

[4] مصطفى غالب، نيتشه(في سبيل موسوعة فلسفية)، دار الهلال للنشر، بيروت، ب ط، 1988، ص59، ص60، ص61.

فنيتشه يدعو الإنسان إلى معارضة أصنام الأخلاق التي عاش هذا الأخير حياته خاضعا لها، يقول نيتشه في هذا الصدد:<< إن أنضج ثمرة من ثمار الشجرة هي المتميز، الذي لا يشبه إلا ذاته، الفرد المتحرر من أخلاقية العادات والتقاليد، والسوبر الأخلاقي الذي يستطيع أن يقطع عهدا وذلك الذي في ذاته وعيا حقيقيا بالحرية والقدرة، وشعوره في النهاية، بأنه وصل اكتمال الإنسان فيه >>[1]، معنى هذا أن الإنسان الأعلى هو إنسان متحرر من تلك الأخلاق التي نجدها في الإنسان العادي الذي يعيش خاضعا للأخلاق السائدة ووارثها.

قضى نيتشه نصف حياته يسعى لتأسيس أخلاق جديدة خاصة بالأقوياء بعيدة عن كل الأفكار السائدة والمعتقدات البالية، التي جعلت الإنسانية في انحطاط وتقهقر، وهذا ما دفع نيتشه للتغيير وقلب كل القيم، ذلك من أجل خلق إنسان متعالي على نفسه وعلى غيره وعلى كل المفاهيم الخاطئة.

قدم لنا نيتشه مثلا لتوضيح هذه النقطة أكثر<< إن الرجل الكريم يريد أن يبدع شيئا جديدا أو فضيلة جديدة، على حين الرجل الصالح لا يحن إلا إلى الأشياء القديمة، وكل رغبته تتجه للإبقاء عليها>>[2]، يوضح لنا نيتشه من خلال هذا المثال الفرق الكبير بين والإنسان العادي الذي يعيش في خضم معتقداته القديمة، التي لا نفع لها، والإنسان المتفوق الخالق للقيم ومؤسسها.

تلك القيم القائمة على مبدأ "إرادة القوة"، يقول نيتشه:<< تلك إرادتكم كلها أنتم يا أكبر الحكماء تلك إرادة القوة لديكم، والتي من أجلها تتحدثون عن الخير والشر، وعن تقويم القيم ... إنكم بقيتم وبأقوالكم في الخير والشر، تمارسون قوتكم أنتم يا من تقومون القيم، وهذا هو حبكم المتخفي وشعوركم الذي تفيض به نفوسكم >>[3]، يعني أن الإنسان الأعلى هو الخالق للقيم الجديدة، وإرادة القوة الخلاقة فيه هي سر الوجود، الذي هو سبب خلق الإنسان.

أي أن كل تلك المفاهيم ليس لها أي علاقة بمفهوم الإنسان الأعلى، حيث كانت قاصرة، لا بل بعيدة كل البعد عن المفهوم الجديد الذي أتى به نيتشه، إذ أن الإنسان الأعلى لم يوجد بعد ، بل على الإنسان أن يخلقه من خلال إرادته الخلاقة.

---

[1] فردريك نيتشة، أصل الأخلاق وفصلها، حسين قيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ب ط، ب ت، ص55.

[2] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص34.

[3] عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي(نيتشه)، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، الطبعة 5، 1980، ص235.

المبحث الثاني: التأويل الجديد لفكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه

دعا نيتشه الإنسان لأن يتفوق على إنسانيته من أجل أن يسمو بها إلى أرقى المراتب الإنسانية وهي مرتبة "الإنسان الأعلى"، يقول نيتشه في هذا الصدد: <<ؤلائك المزدرون للحياة، لقد رعى السم أحشاؤهم فهم يحتضرون، لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها...>>[1]، نفهم من خلال هذا الحديث أن الحياة بالنسبة لنيتشه تتمثل من خلال المظاهر، لأن تلك المظاهر تعبر عن الحقيقة المطلقة، ولذلك نجده ينتقد أفلاطون في فكرته التي تقول لأن العالم الحسي ماهو إلا ظلال للحقيقة وخداع، وهذا بدوره دفع نيتشه لقلب الأفلاطونية غاية في رد الإعتبار للحالم الحسي الذي يراه نيتشه عالم الحقيقة المطلقة، ما جعل نيتشه يسعى جاهدا لتجاوز الميتافيزيقا وينتقل بذلك إلى البديل الذي يمثل حركة الحياة وحيويتها، من خلال نظرية العدمية والتشاؤم التي كانت تعبر عن صورة القرن التاسع عشر، فقد كانت غاية نيتشه من قلبه للقيم الفلسفية الأفلاطونية هي علاج روح ذلك العصر الذي طغى عليه طابع إنكار الحياة والتوهم بوجود حياة أخرى مثالية[2].

إنتقد نيتشة أيضا الفكر اليهودي الذي وصفه بالحقد الكهنوتي حيث يقول: << اليهود هذا الشعب الكهنوني الذي لم يعرف معنى الراحة في صراعه مع أعدائه، والمتغلبين عليه، إلا عندما توصل إلى إجراء تحويل جذري على جميع القيم، أي عندما أحدث إنتقاما روحيا في جوهره، هذا الفعل لا يقوى على الجميع القيام به إلا الشعب من الكهنة، شعب ينتقم بطريقة كهنوتية لحقده المكبوت>>[3]، ففي نظر نيتشة هذا الحقد الكهنوتي هو الخطر الذي يهدد الإنسانية، جراء البدع التي تنشرها الكهنة، والتي تأثر بدورها على الفكر الإنساني، وأكثر ما انتقده نيتشه في اليهود هو تمسكم بذلك العجر وإنتفاء الحياة تلك الحياة المليئة بالتشاؤم والعدمية ويقول في هذا الصدد: <<من الواضح أن الكهنة أسوأ الأعداء لماذا إذن؟ لأنهم أعجز الخلق، العجز يولد ليهم كراهية رهيبة، كراهية ذهنية سامة>>[4]، بمعنى أن الشعب اليهودي شعب ضعيف لا يملك من إرادة القوة و قدرة خوض المخاطر ما يمكنهم من التصدي لأعدائهم، وهذا جعلهم يخلقون لأنفسهم قيما تمكنهم من العيش بسلام، إلا أن نيتشه

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص33.
[2] بن دوخة هشام، مفهوم الثقافة في فلسفة نيتشه، إشراف: د.حمادي حميد، المدرسة الدكتورالية للعلوم الإنسانية، جامعة وهران، (2009_2010 مذكرة تخرج لنيل شهادة المجساتير، في الفلسفة،ص24).
[3] فردريك نيتشه، أصل الأخلاق و فصلها، مرجع سابق، ص29، ص30.
[4] نفس المرجع، 29.

يصف قيمهم تلك بقيم الضعفاء التي ترمز إلى إنحطاط الإنسان، ولذلك يدعو نيتشه إلى تجاوز هذه القيم الضعيفة التي إبتدعها الإنسان الضعيف ليخدع بها نفسه حتى يشعر بالراحة الأبدية، في أن الله يوما ما سوف يجزيه عن كل شقائه بنعيم أبدي، فاليهود كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار[1].

كما أن معارضة نيتشه للمسيحية وانتقاداته التي وجهها ضد التعاليم التي جاءت بها، لا تختلف كثيرا عن ما قام به ضد أهم النزعات التي إنتشرت خلال القرن التاسع عشر(كالعدمية والتشاؤمية)، فالحياة عند نيتشه تتنافى مع المسيحية التي تأسست على التشاؤم من الحياة و نفييها، فنحن لا ننسى أن المسيحية تتهم الإنسان أو بالأحرى المرأة بأنها السبب الأول في شقاء حياة البشرية، ولذلك أصبحت المرأة موضع إتهام[2]، وفي هذا الصدد يقول نيتشه: <<أن يكون الألم في الحياة، هذا يدل أولا بالنسبة المسيحية على أن الحياة ليست عادلة، هي حتى بالضرورة غير عادلة، أن تدفع الثمن عن طريق الألم، ظلم الضرورة: إنها مذنبة بما أنها تتألم >>[3]، المعنى من هذا أن المسيحية تربط الحياة على هذه الأرض بالخطيئة و العقاب، حيث جعل عقاب الرجل أن يسعى في الأرض وأن يفلحها، وعقاب المرأة في ألم مخاضها وإنجابها للأولاد[4]، ولهذا يقول نيتشه:<< ذلك الميل إلى تعذيب الذات، تلك الفظاعة المستنبطة لدى حيوان الإنسان المكبوت...>>، هذا ما عبر عنه نيتشه بالوعى الخاطئ، والذي أكد له بأن المسيحية ضد الحياة.

كما أنه إنتقد بعض التعاليم التي جاء بها السيد المسيح، ومن بينها فكرتي عن الخطيئة والتضحية، ففي نظر نيتشه تعتبر فكرة التضحية مجرد بدعة إختلقها الإنسان، لكنها في نفس الوقت غير منطقية، لأنه لا يعقل أن يضحي الإله بنفسه فداءا لخطيئة إرتكبها الإنسان، حيث يقول: << الله ذاته الذي يضحي بنفسه من أجل ذنوب الإنسان، الإله الذي دفع لنفسه بنفسه الإله بوصفه الوحيد الذي يمكنه أن يفتدي من الإنسان ما صار عند الإنسان ذاته غير قابل للفدية، الدائن الذي يضحي بنفسه من أجل مدينه محبة، هل يمكن

[1] عبد الرحمان بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات للنشر و الطباعة، الكويت، الطبعة الخامسة، 1975، ص185.
[2] فردريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، مرجع سابق، ص27.
[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[4] سفر التكوين الإصحاح 3: رقم (22،21).

لأحد أن يصدق ذلك؟>>[1]، يحتار نيتشه من شدة غباء الإنسان المسيحي الذي أصبح يأمن بتخاريف أبدعها هو بنفسها، ففكرة التضحية تختلف تماما عن ما جاءت به المسيحية، لأن ماجاءت به هذه الأخيرة لا يعتبر تضحية، لأن التضحية الحقيقية هي أن يضحي الإنسان بشيء من أجل نفسه في سبيل الله .

إنتقد كذلك فكرة صكوك الغفران التي إبتدعها رجال الدين و قديسي الكنيسة، وهي عبارة عن بطاقات يبيعها رجال الدين للناس مقابل طلب الشفاعة والغفران لهم ويقول نيتشه في هذا: << بئس الدابة البشرية التعيسة الحمقاء إلى أي تصورات غريبة مضادة للطبيعة تستسلم، أي سيل من الهذيان إلى إي حيونة في الفكر، تسلم زمام أمرها عندما يحول حائل بينها وبين أن تكون دابة بالفعل>>[2]، يستغبي نيتشه هاته التصورات التي تعتنقها المسيحية، ويصفها بأنها تصورات غريبة، ليس لها أساس من الصحة، سوى أنها طريقة غبية تجعل الإنسان تابع للكنيسة وتعاليمها، بحيث تتحكم فيه ويصبح تابعا مترددا لها، ليريح ضميره المكبوت، وهذا ما جعل نيتشهيأكد أنه لابد من تجاوز الفكر المسيحي هو الآخر لما له من سلبيات على فكر الإنسان.

ولأن فلسفة نيتشه قامت في وسط صراع بين عدة أنماط فكرية مختلفة، بداية من القرن الثامن عشر الذي تميز بالطابع العقلي[3] مرورا بالقرن التاسع عشر الذي ظهرت فيه الحركة الرمانتيكية التي سعت لرفع قيمة الإنسان من خلال تجاوز النظرة العقلية، وكذلك التيار الوضعي الذي يعطي الأولوية للمادة على الحس ما أدى إلى تطرف الأخلاق في هذه الفترة[4]، ما جعل نيتشه ينتبه إلى أن الإنسان قد خسر من قيمته الكثيرفي هذا الوجود، بينما من المفروض أنه أساس هذا الوجود وغايته[5]، ماجعلنيتشه ينقلب على كل تلك الأنماط الفكرية، بأن يقدم للإنسانية نموذجا جديدا للحياة، يجعل من الإنسان محور هذه الحياة وغايتها ففي رأي نيتشه<< كل ما استعملته الفلاسفة منذ آلاف السنين، كانت أفكارا مومياء لم يخرج شيء واقعي حيا من بين أيديهم >>[6]، إنتقدنيتشه الفلاسفة السابقين، في طبيعة

[1] فردريك نيتشه، جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسكيني، المركز الوطني للترجمة، تونس، الطبعة الأولى، 2010، ص127.
[2] فردريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، مرجع سابق، ص87.
[3] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص20.
[4] عبد الرحمن بدوي، نيتشه، مرجع سابقن ص141.
[5] فردريك نيتشه، إرادة القوة، ترجمة: محمد الناجي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ب ط، ب ت، ص15.
[6] بن دوخة هشام، مفهوم الثقافة في فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص38.

الأفكار التي قدموها للإنسانية، بأنها مجرد أفكار نظرية لا وجود لها في الواقع، ما جعل نيتشه ينتقد ذلك الإنسان النظري، ويسعى لخلق البديل وهو "الإنسان الأعلى" من خلال ثقافة ديونيزيسية، يسعى نيتشه من خلالهاإعادة ترغيب الإنسان في الحياة.

أولا: مفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه

أعلن فيلسوف القوة فريدريك نيتشه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت " أكثر من مرة عند قدوم إنسان متفوق يتسامى فوق الجميع وفوق ذاته ونلمس ذلك في قوله: << أنني أتيت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان إلا كائن يجب أن نفوقه فما أعدد للتفوق عليه >>[1]، يرى نيتشة أن الإنسان العادي ما هو إلا كائن لابد من تجاوزه للوصول إلى أرقى المراتب الإنسانية، ولذاك فهو يتساءل عن مدى إمكانية هذا الإنسان لتجاوز ذاته، وفي شذرة أخرى نجده يؤكد ذلك من خلال قوله: << اسمعوا لقد أتيتكم بنبأ الإنسان الأعلى إنه معنى هذه الأرض فالتتجه إرادتكم إلى جعل هذا الإنسان الأعلى معنى لهذه الحياة>>[2]، يحاول نيتشه من خلال هذا الإعلان أن يقدم دعوة سامية للإنسان مضمونها أن يتفوق الإنسان عن ذاته، كما يرى إمكانية حدوث ذلك من خلال تحقق الشرط الذي وضعه نيتشه وهو أن يتجاوز الإنسان الجميع وأن يتجاوز ذاته أيضا؛ بحيث يكون سيدا للإنسانية كاملة.

كما أننيتشه يرى بأن غاية الإنسانية وهدفها لا بد أن يوجه إلى مهمة واحدة وهي مهمة صنع الإنسان الأعلى، ذلك أيضا لا يختلف عن القيم الجديدة التي صاغها نيتشه، والتي لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار في عملية خلق هذا الإنسان الأعلى، فهو يعتقد أن الإنسانية لا بد أن تتحرر من جميع القيود بما فيها من عادات وتقاليد، التي وضعتها المذاهب والفلسفات القديمة، بحيث تتمكن من صنع إنسان قوي ومزدري في هذه الحياة، لا يأبه لما تقوله تلك القيم والمعتقدات البالية حسب نيتشه بل إنسان يكون فوق ذاته وفوق الجميع متحرر من كل ما حوله من قيم أخلاقية أو دينية أو غيرها[3].

لذلك ربطنيتشه مفهوم الإنسان الأعلى بمدى تحرر الإنسان من جميع القيود التي تمنع تفوقه سواء كانت أخلاقية أو دينية، وكذلك التخلص من الأفكار المذهبية، بالإضافة

---

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص6 .

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي (نيتشه)، مرجع سابق، ص166.

إلى التحرر من العلاقات الإنسانية وبالتالي تحرر القوى الإبداعية التي يتمكن من خلالها أن يكون حتما الإنسان الذي سيخلق قيما جديدة (قيم الأقوياء).

ولأن نيتشه يحاول الوصول إلى إنسان قوي بقوة المحيط وبقوة البرق؛ فنجده يصف هذا الإنسان قائلا: << والحق ما الإنسان إلا غدير دنس، وليس إلا لمن أصبح محيطا أن يقبل هذا الغدير في عبابه دون أن تعلموا من هو الإنسان الأعلى، إن هو إلا ذلك المحيط تغرقون فيه احتقاركم في أغواره وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة؟>>[1].

يحاول نيتشه أن يقدم صورة للإنسان الأعلى يظهره فيها بأقوى صورة وبكامل جبروته وعظمته؛ حيث يشبهه بالمحيط الذي لا يوفقه شيء ولا يجاريه أحد في ضخامته وهول قواه، لكن نيتشه لم يكتف عند هذا التشبيه في وصف قوة الإنسان الأعلى بل نراه يحاول إيجاد قوة أخرى يرسم فيها صورة للإنسان الأعلى فنراه في هذا الموضع يشبهه بالبرق<< إن الإنسان الأعلى هو البرق الساطع من الغيوم السوداء، من الإنسان>>[2]، يقدم لنا نيتشه صورة قوية وواضحة للإنسان الأعلى من خلال تشبيهه للمحيط وللبرق من ناحية العظمة والقوة.

يأمل نيتشه من هذا الإنسان القوي الجبار أن يكون قائدا للإنسانية وموجها لها، وواضعا لكل القيم الجديدة ولذلك نيتشه يحاول أن يجعل هذا الأخير شخصا متفوقا ويظهر ذلك في تعريفه للإنسان الأعلى بأنه:<< مشروع للقطيع، أي سيده وطاغيته، ومضطهده وإنسان يفرض قيمته وإرادته كالطين ويضحي بهم بلا تردد في سبيل تفوقه >>[3]، والمعنى من هذا أن نيتشه يعمل على تخليص الإنسان من أخلاق القطيع لأنه يعلم بمدى تأثيرها على تطور الإنسان المتفوق؛ فهدفه هو جعل هذا الإنسان سيدا لذلك القطيع وبالتالي لابد من تحريره من أخلاق الضعفاء والأفكار التي تجعل منه تابعا لهذا الأخير.

هذا بالضبط ما جعل نيتشه يدعو الإنسان المتفوق إلى تجاوز إغراءات أخلاق القطيع التي تتميز بالشهوة والعاطفة، وأن يركز على مهمته الحقيقية وهي أن يكون إنسانا

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة في قراءة نيتشه، مرجع سابق، ص192.

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] ربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشبكة الوطنية للنشر، الجزائر، ب ط، 1982، ص165.

مستبدا طاغية جبارا وفطنا لشرور القطيع، فهو في حرب دائمة مع هذا الأخير الذي يهدد استمراره وتفوقه، لذلك فهو يعيش في خطر محيط به دائما.

أيضا لا بد أن يكون الإنسان متفوقا على نفسه وعلى غيره؛ حيث يدعوه نيتشه الإنسان الأعلى للتضحية في سبيل استمراره وتفوقه، فالخطر هو ميزة الإنسان الأعلى.

كما يعرف نيتشه الإنسان الأعلى بأنه إنسان ديونيزوسي يسعى جاهدا إلى تجاوز المواصفات الإنسانية كالعاطفة والغرائز التي يشترك فيها مع القطيع، فهي تسبب ضعفه؛ فلا بد أن يكون إنسانا مخاطرا يهوى الحياة ويطلبها مرارا وتكرارا رغم المعاناة التي يعيشها، فهو يختلف عن غيره من القطيع بكونه يتميز عنهم بتفوقه على ذاته وعلى كل من حوله[1].

إن هذا النوع من الإنسان الذي يصوره نيتشه هو نوع من المعجزة التي ستأتي لتحل كل مشاكل البشرية ويتحمل كل الأخطار و كل المعاناة بل ويعشق الحياة رغم كل هذا الذي هو مضطر لعيشه مرارا و تكرارا وبنفس الطريقة وبنفس التفاصيل و الأكثر من ذلك يرى <<بأن الإنسان الأعلى هو ذلك الموجود الذي يحيا في الأطراف البعيدة والذي ينبغي عليه _مادام لا يقوم إلا على نفسه _ أن يختار ذاته ، وألا يختارها إلا لكي يثب إلى ما وراءها باستمرار والإنسان الأعلى عبارة عن مستقبل لا يمكن اللحاق به أبدا >>[2].

هذا تجلي واضح لصور الأنانية التي لا بد أن يتميز بها الإنسان الأعلى؛ حيث يرى نيتشه أن الإنسان لا بد أن يتجاوز ذاته، وهي الجسر الذي سيتجاوزه في انتقاله إلى مرحلة العلو،تتجلى هذه الأنانية في احتكاره لنفسه كل مفاهيم القوة والعظمة والصلابة والتحمل؛ فهو بذلك لا يحتاج إلى غيره ليقومه أي أنه يقوم ذاته بذاته وبالتالي فهو مقوم لكل شيء في هذه الأرض، ولذلك يصوره نيتشه في صورة الاكتمال<< إنما الإنسان الأعلى هو نمط من الاكتمال >>[3]، أي أن الإنسان في نظر نيتشه هو الكائن المقوم للأشياء، وواهبها الأسماء وهو الذي خلق الأقدار والمصائر للإنسانية بحيث يعود إليه كل شيء أي أنه الإنسان الخالق والمبدع [4] .

---

[1] جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، كامل يوسف حنين، عالم المعرفة للنشر، الكويت، ب ط، 1990، ص229.

[2] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للنشر، بيروت (لبنان)، الطبعة الأولى، 1998، ص190.

[3] محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص66 .

[4] نفس المرجع، ص291.

بعد أن اكتشفنا المعنى الصحيح الذي كان نيتشه يسعى لتقديمه، لا حظنا أنه في مشروعه هذا لم يكن يستهدف هدم القيم والمبادئ والأفكار القديمة فحسب بل كان نقده موجها للإنسانية أو بالأحرى للذات الإنسانية؛ التي انطلق منها لإحداث تغيير جذري أو جنيالوجي إن صح التعبير للذات الإنسانية.

الأهم من ذلك أن نيتشه يرى بأن هذا الإنسان نفسه هو الذي يقوم بتلك المهمة، أي تغيير ذات الإنسان(من الإنسان العادي إلى الإنسان الأعلى)، متجاوزا كل ما يجعل الذات عرضة للعجز وسببا في بقائها متحجرة في ما يسمى بالعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية؛ أي أن ينظر الإنسان إلى نفسه نظرة جديدة، بالإضافة إلى ذلك فإن نيتشه كان قد وضع مجموعة من الشروط التي لا بد من توفرها والتي من خلال تحققها أن يظهر الإنسان الأعلى:

1_التحرر من جميع المفاهيم والخرافات والعقائد الراسخة في ذهن الإنسان وجعله عبدا لها.

2_العمل على تغيير هذه الأصنام وأن يتجاوزها لخلق قيم جديدة ويقول نيتشه في هذا الصدد: <<أمرت بأن يهدموا كل قديم، وأن يقفوا أمام كل عقيدة بأن يهزؤوا من صرامة حكامهم وحذرتهم من المفزعات السوداء المنصوبة على شجرة الحياة >>[1]،المعنى من هذا أن يقف الإنسان من هذه القيم موقف المستهزئ الضاحك بل ليتجاوزها إلى الأفضل وأن يهدموا كل القيم القديمة التي جعلتهم عبادا لأصنام الأخلاق وأصنام الفلسفة وأصنام السياسة.

3_تجاوز الفهم القديم لبعض المصطلحاتوإعطائها مدلولات جديدة ذات أهداف جديدة، كمفهوم الزواج الحديثأوزواج الكنيسة، كما لابد من تجاوز بعض المفاهيم كالصداقة والحب والحرية، وهو ما سيتم عرضه في الفصل الثالث.

ثانيا: خصائص ومميزات الإنسان الأعلى

جعل نيتشه للإنسان الأعلى مجموعة من الصفات التي تجعله متميزا على غيره من النماذج السابقة ومختلفا عن المفاهيم التي حاول البعض إلصاقها بفكرة الإنسان الأعلى، ومن بين أهم الصفات التي يتميز بها هذا الأنموذج الجديد:

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص211 .

أ_صفة الاستخفاف بالموت: من بين أهم صفات الإنسان الأعلى التي يحددها نيتشه هي صفة الاستخفاف بالموت؛ أي أن الإنسان الأعلى هو الشخص المستخف بالموت وفي هذا الصدد نجد نيتشه يقول: << أحب المستهزئين بالحياة والمستخفين بالموت، لأنهم أعظم المتدينين الصالحين، أحب الذين يضحوا بحياتهم من أجل هذه الأرض التي نعيش عليها إلا من أجل ما وراء النجوم لكي تصير الأرض يوما ما مسكنا للإنسان الأعلى>>[1]، نلمس من خلال هذا القول إعجابا كبيرا من طرف نيتشه اتجاه الذين لا تخيفهم الموت ولا تضعف من قوة عزيمتهم في هذه الحياة، بل تزيدهم عزما وإصرارا على التمسك بها، فالذين لا تغرهم هذه الحياة في نظر نيتشه هم أعظم الناس، كذلك يمجد الذين يقدمون حياتهم ثمنا ليصلوا إلى أمنيتهم العظمى في أن يصيروا من ضمن نماذج للإنسان الأعلى.

نيتشة يدعو الإنسان العادي ليتفوق على ذاته من خلال خلق إنسان يفوقه ويتجاوزه، وأن يسعى كي يصير إنسانا متفوقا، وبالتالي ستصبح كل الأشياء من إبداعه وتحت قوانينه وفق قيم جديدة التي سوف يتجاوز بها كل القيم.

فالإنسان الأعلى في نظر نيتشه لا يتقبل فكرة الموت كنهاية لمصيره ووجوده، لذلك فهو في صراع مستمر مع الموت سعيا منه لهزيمتها << فالإنسان الأعلى هو حتما الإنسان الذي سيهزم الموت، بل إن هزيمة الموت كظاهرة تؤدي إلى القضاء على أخلاق الضعفاء وتحرر الإنسان منها إلى الأبد وهذا الشيء الذي أفنى نيتشه حياته في الدعوة إليه، إذ أن القضاء على الموت سوف يؤدي بالضرورة إلى زوال الأديان والتي تشكل المنبر الأهم للأخلاق؛ إذ أنها عند ذلك تفقد مصداقيتها ولا تعود سوى ميثودولوجيا >>[2]، يعني أن نيتشه يرى بأن غاية الإنسان الأعلى في هذه الأرض هي أن يتحلى بالشجاعة التي من خلالها يتمكن هذا الأخير من هزيمة الموت وبالتالي التحرر من كل المعتقدات الدينية التي جعلته يعيش تحت سيطرة أخلاق الضعفاء، وبما أن نيتشه يرفض ذلك؛ فإنه يدعو الإنسان إلى تجاوزها من أجل خلق قيم جديدة(قيم الأقوياء)؛ القيم التي سعى نيتشه لتأسيسها.

صفة الإرادة: يتميز الإنسان الأعلى في تصور نيتشه بأنه ذا إرادة قوية وعزيمة عظيمة ويقول نيتشه في هذا الخصوص: << إن طموح إرادتي إلى الإيجاد يدفعني أبدا نحو الناس

[1] مصطفى صمودي، من جلجامش إلى نيتشه، بحث في الثقافة العالمية، المنهل للنشر، ب ب، 2015، ص260 .

[2] نادر أبا زيد، ما هو الإنسان، (تاريخ الدخول للموقع، 22_02_2020، 12:45http://www.maaber.org).

اندفاع المطرقة فوق الحجر >>[1]، والمعنى من هذا أن نيتشه يربط الوجود بالإرادة ولكن ليست أي إرادة إنما يقصد "إرادة القوة" وهي القوة التي يناشدها نيتشه والتي يعني من ورائها القوة الخلاقة التي لا بد أن تتوفر عند الإنسان الأعلى والتي سيتمكن من خلالها اكتشاف طبيعة الأرض الخلاقة وهذا الخلق في نظر نيتشه سيكون مبدأ للكون وفي هذا الصدد يقول نيتشه: << إن الإرادة هي صفة للإنسان يمكن أن تكون صفة للكون كله>>[2]، أي أن يتحرر الإنسان من كل القيم السائدة وأن يؤسس ويخلق لنفسه قيما جديدة تكون نابعة من إرادته، بحيث يتمكن من تشكيل الحياة الإنسانية في قالب جديد قائم على مبدأ إرادة القوة.

حاول نيتشة تحليل الأسباب التي تجعل الإنسان منقادا خاضعا لكل ما حوله، ولعله وجد تفسيرا يوضح لنا العلاقة بين فكرة إرادة ومشكلة الخضوع، يفصل لنا نيتشة ذلك بقوله: << تساءلت عن علة هذه الأمور وعن القوة التي ترغم الحي على الانقياد والتحكم فتجعله خاضعا حتى إذا حكم ولعلني توصلت إلى سبر قلب الحياة إلى الصميم، فاصغوا إلى قولي أيها الحكماء، لقد تيقنت وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة لأن في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوي على الضعيف، فإرادة الخاضع تطمح إلى السيادة أيضا لتتحكم فيمن هو أضعف منها وتلك هي اللذة الوحيدة الباقية لها فلا تتخلى عنها >>[3]، بمعنى أن صفة الإرادة حسب نيتشه هي صفة طبيعية قد نجدها عند القوي والضعيف؛ فلكل كائن حي حسبه إرادة قوة، ويكمن الاختلاف في مستوى قوة تلك الإرادة على حسب المكانة فقول نيتشه بأنه وجد إرادة قوة حتى في الخادم يوضح لنا أن إرادة الخادم ليست نفسها الإرادة التي نجدها عند السيد، وعلى هذا الأساس تختلف الإرادة من شخص إلى آخر غير أنها في نفس الوقت ميزة يتصف بها الجميع السيد والخادم.

فالخادم تكمن إرادته في بسط قوته على من هم أضعف منه وذلك من خلال خدمته لمن هو أقوى منه، ولهذا فإرادة الإنسان الأعلى لابد أنها تسعى لأن تجعل الكون قائما على مبادئها؛ فالإنسان الأعلى هدفه في هذه الحياة أن يكون الكون ملكا له، ولذلك فهو <<يتخذ

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص73 .

[2] ربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص94

[3] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص97 .

من إرادة القوة قاعدة لفعله ومن تقويض القيم وإعادة تقويمها مثالا >>[1]، بمعنى أن يجعل إرادة القوة أساسا لبناء قيم جديدة تكون متينة وصلبة لا تهز بسهولة.

ب_ صفة الخلود: تكلم نيتشه عن فكرة العود الأبدي* و التي يعني بها خلود الحياة و النفس وهي فكرة يهدف من خلالها إلى جعل الحياة أزلية، أراد أن يجعل صفة الخلود من بين أهم صفات الإنسان، التي من خلالها يتخلص هذا الأخير من أكبر مخاوفه، وهو خطر الموت التي يحدق به كل لحظة وكل ثانية؛ فنيتشه يريد من الإنسان الأعلى أن يكون إنسانا أزليا قاهرا للموت عاشقا للحياة ومحبا لمصيره كل الحب، وأن يكون متلهفا للحياة رغم كل ما فيها من أحوال وتقلبات، وأن تكون له إرادة ليعيش هذه الحياة بكل تفاصيلها مرارا وتكرارا دون أن يكره مصيره وغير ذلك يرد عليهم نيتشه بأنهم هم الضعفاء الذين يخشون من الحياة وهم فقط من ينتابهم شعور اليأس النفسي من فكرة العود الأبدي[2]، يقول نيتشه في هذا الصدد: <<سأعود مع هذه الشمس وهذه الأرض، وهذا النسر، وهذا الثعبان، يرمز الثعبان للأبدية في دورانها والتفافها وعودها إلى حيث بدأت، لا إلى حياة جديدة أو حياة أفضل أو حياة تقرب من هذه سأعود أبدا إلى نفس هذه الحياة في كل صغيرة وكبيرة منها لكي أعود مرة أخرى للعود الأبدي لكل الأشياء >>[3]. يحاول نيتشه أن يجعل الإنسان أكثر قوة وتحمل لأعباء الحياة وأن يكون أكثر صلابة ليتمكن من السير قدما نحو العلو.

ينطلق نتشه من خلال صفة الخلود التي جعلها ميزة للإنسان الأعلى لإضفائها على كل الأشياء الموجودة في الحياة بصفة عامة؛ فالإنسان العظيم في نظر نيتشه هو من يتحمل العيش في هذه الحياة ومع هذه الحقيقة بالذات، حقيقة أن هذه الحياة سوف تعود مرارا وتكرارا وسوف يعيشها في كل المرات بنفس الطريقة وبنفس التفاصيل بالإضافة إلى ذلك فمن واجب هذا الإنسان أن يضفي صفته على الحياة كلها، يصف ذلك بقوله: << ... مثال الإنسان الأكثر جموحا وحيوية وقبولا للعالم، الإنسان الذي لم يرضى وحسب بما كان وبما

---

[1] مجدي كامل، فردريك نيتشه، شيطان الفلسفة الأكبر، مرجع سابق، ص169.

*العود الأبدي: هي أن كل شيء يمضي، كل شيء يعود، وبصفة أبدية تدور عجلة الوجود، كل شيء يموت وكل شيء ينبع من جديد بصفة أبدية تمضي دورة السنوية للوجود، كل شيء ينكسر وكل شيء يلتئممن جديد بصفة أبدية يبني بيت الوجودوكل شيء يلتقي من جديد، تظل دورة الوجود وفية لذاتها، وفي كل لحظة يبدأ الوجود، (سنة صباح آل خالد، جامعة البصرة كلية الآداب، حول فكرة العود الأبدي نيتشة أنموذجا، مجلة دار البصرة، العدد(74)، ص220.

[2] فؤاد زكريا، نيتشه، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2011، ص173 .

[3] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص191.

هو، ولم يتعلم بتعلم التكييف معه فحسب، بل هو الذي يريد أن يعود كل شيء كما كان وكما هو وإلى الأبد الأبدين، فيصرخ ولا يرتوي >>[1]، قد يظن البعض أن نيتشة يسعى لشقاء الإنسان وجعله يعاني طيلة حياته، ولكن ماذا لو كان هذا الشقاء سببا في جعل الحياة الإنسانية تتغير جذريا وأن يصبح الإنسان كائنا قويا جريئا يتحدى الحياة بكل ما فيها.

إذن فالإنسان الجامح والجريء عند نيتشه هو الإنسان الأكثر حيوية، والذي يعشق مصيره بقوة ويتقبل الحياة بكل تفاصيلها ولو عاشها ألف مرة، وأن يركز على الشيء الأهم وهو تعقب الأحداث من حوله والسعي وراء تغييرها وإصلاحها وبالتالي إصلاح ذاته والسمو بها إلى ما هو أفضل لها؛ فيقول نيتشه في حوار الذات والروح: << أنا راضي بأن أعيشها كلها مجددا ومرات ومرات، أنا راضي بأن أتعقب كل حدث حتى منبعه بالفعل أو بالتفكير؛ أقيس الكثير، أسامح نفسي على الكثير عندما أطرد الندم ...تسري عذوبة هائلة وأن نغني نحن مباركون بكل شيء ننظر إليه مبارك >>[2]، بمعنى الإنسان لا بد أن يرضى بالحياة وأن يعلم أن هذه الحياة التي يعيشها سوف تعود بنفس الشكل وبنفس الطريقة لذلك على الإنسان أن يعمل قدر استطاعته لأنه إذا فشل مرة فيكون فشله مرارا وتكرارا، لذلك يدعو نيتشه الإنسان الأعلى بأن يبحث عن كل شيء وأن يسبر أعماقه وأن يفهمه وأن يكتشف كل ماهو جديد.

ج_صفة العقل الحر: من أهم الصفات التي يحددها نيتشه للإنسان الأعلى هي صفة الحرية، وفي هذا الصدد يقول نيتشه: << إذا كنا نريد أن نخلص الإنسانية من هذه الحال، وأن نفتح لها طريقا فسيحا معبدا أمام مستقبل زاهر، وإذا كنا حرصين حقا على أن نجعل لوجودنا معنى سامي وأن نرتفع بالحياة في سلم التصاعد نحو القداسة ونحو العلاء، فلنصنع الشجاعة في أروع مظاهرها، والصراحة في أفضح صورها، كي نواجه حقائق نفوسنا وأحوالنا في صبر وثبات غير خجلين ولا مستحقين >>[3]، يدعو نيتشه لتحرير العقل من التحجر والتقوقع في الأفكار والمعتقدات السابقة لتخليص الإنسانية من حالتها العاجزة والسمو بها إلى أعلى المراتب الإنسانية، وأنه لابد للإنسان الشجاع ان يتمرد على كل القوانين التي تجعله

[1] سناء صباح آل خالد، حول فكرة العود الأبدي، مرجع سابق، ص226.

[2] مايكل تانز، مقدمة قصيرة جدا(نيتشه)، تر: مروى عبد السلام، الهنداوي للنشر، القاهرة، الطبعة 1، 2015، ص 69 .

[3] عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي، مرجع سابق، ص163.

خاضعا، وبأن يصبح شخصا لا يهابه شيء ولا يخيفه شيء، وأن يكون صريحا في ما يقوله وما يخلقه، أي أن يكون مستقلا بذاته، ويملك القدرة على خلق قيمه الخاصة به والتي تقوم فقط وفق إرادته.

إذن فالإنسان الحر الذي يمتلك عقلا حرا في نظر نيتشه هو إنسان خالق، لأنه مادامت لديه القدرة على التحرر من قيم القطيع وتجاوز ذاته فبإمكانه أن يصنع لنفسه قيما جديدة يرتقي من خلالها ويعلو بها على من حوله .

صاحب العقل الحر حسب نيتشه هو الشخص الذي يملك الجرأة والقدرة على الانسلاخ من كل المفاهيم القائمة والاستقلال بذاته وهدم كل قديم وإقامة وخلق كل ما هو جديد يكون لصالح الإنسانية كاملة[1]؛ وهذا يعني أن صفة الحرية هي من بين أهم المميزات التي يميز بها نيتشه الإنسان الأعلى عن باقي القطيع .

د_صفة المخاطرة: من بين أهم الصفات التي لا بد أن يتميز بها الإنسان الأعلى، هي صفة الشجاعة والمخاطرة وفي ذلك يقول نيتشه: << إنني أحب الذين لا يعلمون العيش إلا بشرط الهلاك، لأنه في الهلاك يتجاوزون أنفسهم >>[2]، نفهم من هذا القول أن نيتشه يعتقد بأنه لابد للإنسان أن يعيش في خطر دائم حتى يتجاوز ذاته ومنها إلى تجاوز غيره وبالتالي يحصل على حريته وقوة إرادته.

ولهذا فنيتشه يرى بأن الإنسان لا بد أن يحارب ليحصل على حريته، فالحرية التي يناشدها نيتشه هي حرية المجتمعات الإرستقراطية، وفي هذه الحالة تكون الحرية من أجل الغلبة وليس للحصول على السعادة، لأن في نظر نيتشه الذين يشعرون بالسعادة بعد حصولهم على حريتهم هم مناقضون للمروءة على عكس الذين يشعرون بالقوة و الغلبة ضد القيم فهم محاربون[3].

هذا يعني أن الإنسان الأعلى حسب نيتشه لا يجد راحته وسلامته إلا في حالة الحرب والتحطيم، لأنه يرى في قوته ملاذا يخلصه من القطيع كالرحمة والشفقة؛ فالإنسان الأعلى

[1] عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي، مرجع سابق، ص166.

[2] جان غرانييه، نيتشه، ترجمة: علي أبو ملحم، مجد للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى،2008، ص133 .

[3] محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص643.

وحش بلا ضمير، ويجد سعادته في تعذيب الآخرين يمقت الضعف والكذب فهو صريح شجاع لا يهاب الموت ولا يخاف المخاطرة فهو يعيش حياته في خطر دائما ويعجبه ذلك[1]

يمكننا القول إذا أن نيتشه يريد شخصا محاربا تكون له روح حرة تهوى المخاطرة، التي هي مهنة هذا الإنسان الذي يناشده، والتي من خلالها يتعالى هذا الأخير فوق نفسه وفوق الجميع فبمواجهة الإنسان للأخطار التي تواجهه يكتشف ذاته الحقيقية ولذلك يقول نيتشه: << كي تجني من الوجود أسمى ما فيه، عش في خطر لأن الخطر المحدق هو الذي يجعل الإنسان حرا وقادرا على تجاوز ذاته والعلو عليها >>[2]، هذه دعوة واضحة من نيتشه للإنسان، فالخطر في اعتقاده يجعل الذات الإنسانية أقوى مما هي عليه ويتجاوز الضعف الذي قولبته فيه الأفكار والقيم السابقة.

فمن خلال المخاطرة يكتشف الإنسان قواه الحقيقية الكامنة داخلة الذات الإنسانية مثل الإرادة الحرة << فالأرواح الحرة عند نيتشه تخاطر بحياتها لأن كل خطر عظيم يتحدى حب استطلاعنا عن درجة قوانا وشجاعتنا>>[3]، إن ما نلاحظه على نيتشه أنه ركز على صفة المخاطرة كونها تكشف للإنسان مدى شجاعته ومدى مجازفته، إذن فهذه الصفة هي أقدس صفة بالنسبة لنيتشه كونها تجعل من هذا الإنسان شخصا عظيما مكافحا للموت مصرا عن الحياة.

المعنى من هذا أن الخطر محدق بالإنسان من كل الاتجاهات ولذلك وجب عليه أن يكون عنيفا قاسيا حتى يتمكن من مجابهة الأخطار التي تواجهه في طريقه نحو العلو؛ كما أن على هذا الإنسان أن يحصل على حريته وأن يكون هو المنتصر والغالب لأن هدف الحرب التي يخوضها هو الانتصار على كل القيم .

و_صفة الضحك: يمتاز الإنسان الأعلى بصفة الضحك يقول نيتشه:<< لقد أمرتهم أن يضحكوا من أساتذتهم الكبار الذين يعلمونهم الفضيلة، ومن قديسيهم ومن شعرائهم ومن لهم من منقذي العالم >>[4]، يطلب نيتشه الإنسان المتفوق، أن يقف موقف الضاحك من أصنام

[1] عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي(نيتشه)، مرجع سابق، ص173.

[2] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص213 .

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[4] ربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص 95.

الأخلاق وأصنام الفلسفة وأصنام السياسية، تلك الأصنام التي جعلته يعيش حياة الخضوع والضعف.

أي أن نيتشه جعل من صفة الضحك قوة تمكن الإنسان من التحرر من القيم والعادات التي جعلته إنسانا ضعيفا يتقبل كل ما يقدم له بلا معارضة وبلا مناقشة، ولهذا جعل نيتشه الضحك صفة للإنسان الأعلى حتى يتمكن من التحرر من كل القيم عن طريق ازدرائها .

هـ_صفة الكبرياء: يمتاز الإنسان الأعلى أيضا بالكبرياء والأنانية، وهذه الميزة تكمن حسب نيتشه في شعوره العميق، فهو لا يقوم في وجوده على شيء لأنه متسامي ومتفوق على نفسه وعلى الجميع، ولذلك فهو الذي يقرر ما يصلح له وما يضره وهو يتصرف وفق إرادته مستقل بذاته لذلك يستمر في تمجيد ذاته؛ فهو الذي يخلق القيم فلا أحد يجاريه فهو يخضع للقيم التي يخلقها بنفسه ولذلك فهو يمتاز بالأنانية كونه يحتكر القوة والعظمة لنفسه ولذلك فهو يستغل الآخرين من تفوقه عليهم[1]، ولذلك فنيتشه يعتقد أن الكبرياء << يعني بالنسبة إليه، شعوره العميق بأن له الحق في تحديد القيمة، وبأنه ليس في حاجة إلى تأكيد أو تصديق لأنه يعرف بأن الأشياء إذا كانت تحظى بشرف فهو الذي يمنحها ذلك الشرف، ولأنه هو الذي يقرر بأن ما يضره قبيح في ذاته، فهو يمجد كل ما يعثر عليه في ذاته، ولذلك فأخلاقيته ليست سوى تمجيدا للذات >>[2]، والمعنى من هذا أن الإنسان الأعلى حسب نيتشه يجب أن يتميز بغروره وعلوه وأن تكون بينه وبين ذاته ثقة عظيمة تمكنه من الاعتلاء والسمو.

فالإنسان الأعلى في نظره من يقرر الخير والشر، وهو أيضا من يمنح للأشياء مسمياتها؛ ولذلك صار إنسان نيتشة الأعلى ذرائعي براغماتي بالدرجة الأولى لا ينضر للأشياء بقدر قيمتها بل بمقدار نفعها في حياته[3].

---

[1] نفس المرجع، ص57.

[2] نفس المرجع، ص94.

[3] مصطفى صمودي، من جلجامش إلى نيتشه، مرجع سابق، ص262.

المبحث الثالث: تأويل نيتشه لمفهوم الإنسان الأعلى

أقر نيتشه بوجود نماذج قريبة من الإنسان الذي ينتظر ظهوره في المستقبل المنشود (الإنسان الأعلى)، ربما لأن تلك النماذج تملك نفس الصفات التي حددها نيتشه في إنسانه الأصيل، نجده يشدو بهم في شذرات من كتابه: هكذا تكلم زارادشت، وهذا دليل آخر عن حقيقة الإنسان المنشود وهي إمكانية ظهوره على أرض الواقع، اسكت بها نيتشه منتقدوه الذين وجهوا له نقدا يقول باستحالة تحقق هذا الانسان الذي يتصوره ووصفوه بأنه مجرد طابوهات ومثاليات لا يمكن تحققها في الواقع، ولكن هاته النماذج التي سنعرضها ستثبت لنا العكس وتبيين لنا مدى إمكانية ظهور العالم المنتظر(عالم الإنسان المتفوق).

أولا: فكرة الإنسان الأعلى والمزدرون العظماء:

يقر نيتشه بوجود قرابة بين فكرة الإنسان الأعلى التي نبأ بها والرجال العظماء، ويظهر ذلك في قوله: << رأيت اليوم رجلا من العظماء الأجلاء الذين يكفرون من أجل الروح فاستغرقت روحي في ضحكها هازئة بقبحه، غير أن هذا العظيم لم يبد ولم يعد، بل انتفخ صدره كمن يتنفس الصعداء، فلاح لي بحقائبه المروعة وبأثوابه الممزقة غصنا كله أشواك >>[1]، نلاحظ أنه رغم سخرية نيتشه واستهزائه وضحكه إلا أن ذلك لم يحدث أي استصغار في نفسية الرجل العظيم الذي التقى به نيتشه، بل حتى أن ذلك العظيم لم يأبه لما قاله فيلسوفنا حيث مشى وكله ثقة وكبرياء، وكأن روحه تحررت من كل ما يثير الوجل في داخله ونجد نيتشه يعبر عن ذلك في تعبير آخر: << لقد مررت الآن بكائن يحب ذاته وهو يحتقرها، فهو في نظري منتهاه في عشقه واحتقاره، لأنني ما عثرت قط بمثله كائنا يحتقر ذاته إلى هذا الحد، إن في مثل هذا الاحتقار تعاليا وسموا ولعل هذا الإنسان هو الإنسان الراقي الذي أرسل بصرخة الاستنجاد، إنني أحب رجال الاحتقار العظيم، لأنه على الإنسان أن يتجاوز ذاته ويتفوق عليها >>[2]، لقد رأى نيتشه في الإنسان العظيم ذلك الاحتقار الذي لابد أن يتجاوز الإنسان ذاته من خلاله وأن يتفوق عليها، بل إن ذلك الاحتقار سيزيده سموا وتعاليا وكبرياء وغرورا، هذا ما لاحظه نيتشه في الرجل العظيم مما جعله ينبئنا بأنه ربما يكون هو الإنسان الراقي الذي يتكلم عنه.

---

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص99.

[2] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة في قراءة نيتشه، مرجع سابق، ص216.

يقول نيتشه: << إني أقدر احتمال هذا الرجل لنير الثور ولكنني أتمنى أن تشع نظرات الملاك في عينيه، ولن تشع هذه النظرات ما لم ينس ما فيه من إرادة الأبطال، لأن ما أريده له هو أن يصير رجلا ساميا لا أن يبقى في مرتبة العظيم حيث يفقد الإنسان إرادته فتتلاعب به أضعف السمات>>[1]؛ بمعنى أن نيتشة يرشح الإنسان العظيم ليصير إنسانا ساميا لأنه وجد فيه الصفات التي تخوله لذلك، ولكن ليتحقق ذلك وضع نيتشه شرطا وهو أن يتجاوز إرادة الأبطال إلى إرادة المبدعين لأن نيتشه يريده أن ينتقل إلى مرتبة أرقى من مرتبة العظيم التي من الممكن أن تهوى فيها إرادته ويضعف من جديد.

ثانيا: فكرة الإنسان الأعلى والأرواح الحرة:

إن أصحاب الأرواح الحرة بالنسبة لنيتشه هم أقرب مثال يمكن أن يكون نموذجا للإنسان الأعلى، وربما لهذا السبب اخترع نيتشة تلك الفكرة (الأرواح الحرة) لأنه كان بحاجة إليها؛ فهي الوحيدة التي بإمكانه الانسجام معها بعيدا عن العقول الضعيفة المصابة بمرض العبودية لكل الأشياء التي حولهم، أما العقول الحرة فيرى أنها عقول حرة هي عقول لا ترضى العبودية وإنما تبحث عن العلو ففي صداقتهم يجد نيتشه حريته فهو يعود إليهم ليروق مزاجه وإذا أزعجوه فإنه ينفصل عنهم بكل روح استقلالية [2].

يقول نيتشه في وصفه للأرواح الحرة: <<فالروح الحرة تعلو على من سواها من النفوس الإنسانية، وهي بهذا العلو تحقق معنى من معاني الحرية، إنها الحرية التي تخلصنا من الأوهام الثقيلة ومن روح الثقل، ولم تعد تأبه إلا لمعنى العلو>>[3]، نستنتج من خلال هذا النص صفة مشتركة بين فكرة العقول الحرة وفكرة الإنسان الأعلى؛ بحيث كل منهما يمتلكان رغبة وشوق عظيم للتحرر وتجاوز كل القيود التي كانت تكبلهما سواء من التراث أم أفكارا فلسفية أو معتقدات دينية، وليس هناك شك في أن يكون هذا هو السبب الذي دفع نيتشه ليجعل من الأرواح الحرة نموذجا للإنسان الأعلى.

تحدث نيتشه عن الحرية كصفة خاصة بالإنسان الأعلى لأنه رأى في أصحاب العقول الحرة القدرة على تجاوز الوجل الذي يعتريهم ممن حولهم ومن الحياة بأكملها، بأن

---

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص100.

[2] فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق والغرب، الجزء الأول، ب ط، 2002، ص10ص11.

[3] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص218.

تجعلهم الحرية أن أكثر قوة وازدراء ليتجاوز كل القيم البالية وأن يكتسبوا ذات قوية مخاطرة تعشق العيش باستقلالية بعيدا عن التسلط والقيود يقول في ذلك:<< ... وقد تحررنا من قيود الحب والبغض، دون أن نؤكد، دون أن نجحد، قريبين طوعا، بعيدين طوعا، أو أقل منسحبين، متجنبين، محاولين أن نطير، وها قد ابتعدنا، وعاودنا الطيران، قد سئمنا مثلما يسأم كل من رأى أسفل منه ركاما من التنوع، ونحن منذ الآن عكس أولئك القلقين من أجل أشياء لا تعنيهم، إن ما يعنيه العقل الحر في الواقع الآن إنما هي أشياء وكم من أشياء لم تعد تقلقه...>>[1]، يشير هذا النص إلى أن الإنسان في مراحل تطوره لمعرفة ذاته وفهمها بهدف التفوق عليها لا بد له من عقل حر يمكنه من ازدراء كل ما قد يواجهه من كلام وأن يتقبل كل الأحكام التي يطلقها الناس نحوه دون أن يعيرها أي اهتمام وأن يمر عليها بكل ثقة وكبرياء، كي لا يجعل ذلك ذاته ضعيفة، ويقول نيتشه في هذا الصدد: << يجب على الأرواح الحرة أن تعلم بأنها تلك الروح التي قد تحررت من سجنها واستعادة حريتها وامتلاكها لذاتها>>[2]، أي أن الأرواح الحرة هي تلك الأرواح التي استعادة حريتها المسلوبة وأصبحت تملك الأهلية في تسيير شؤون ذاتها.

ثالثا: الانسان الأعلى وفكرة النبيل:

اعتبر نيتشه فكرة النبيل نموذجا قريبا من فكرة لإنسان الأعلى أو الإنسان المنشود، ذلك لأن هناك بعض الصفات التي لمسها نيتشه في الإنسان النبيل جعلته يعجب بها، كون مثل هذه الصفات تجعل الإنسان يعشق المستقبل ويتشوق وبلهفة لتحقيق أهدافه المنشودة بلا ملل، ومثل هذه الصفات يستحيل إيجادها عند الجميع ، وصاحب هذه الصفات حسب نيتشه سيغدو يوما ما إنسانا متفوقا.

يرى نيتشه بأنه على الانسان الأعلى أن يضع نصب عينيه الغاية التي خلق لتحقيقها على هذه الأرض، كما أنه لابد أن يكتسب روح حرة تساعده على تجاوز كل القيم السابقة بوصفها قيم بالية لا معنى لها، وأن يسعى لتغيير ذاته وأن ينتقل من مرحلة الانحطاط إلى مرحلة التفوق، وأن يكون هدفه خلق عالم جديد، كما أنه من بين أعظم صفات الإنسان الأعلى أيضا صفة النبل التي تعد سببا في شعوره بالعلو والكبرياء[3] حيث

[1] فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، مرجع سابق، ص12.

[2] Nietzeche(f).L'antéchrist SuivideEccehom.Trad.Jeamclaude Hémery.Gallimard.1974.P150.

[3] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص225.

يرى نيتشه الإنسان النبيل في صورة مميزة حيث يقول: << فالشخص النبيل يساعد المحتاجين والمعوزين لا عن شفقة إنما عن وفرة قوته، وفيض ثرائه، وهو بذلك العطاء يتحرر من وفرة ثرائه وغنائه. وتكون الفضيلة التي عنده أسمى فضيلة>>[1]، هذا ما جعل نيتشه يلمس الفضائل الموجودة داخل كيان الإنسان النبيل التي رأى أنها بإمكانها أن تجعله يسمو بذاته ليصل بها إلى مرتبة العلو.

رابعا: فكرة الإنسان الأعلى و المرأة:

تأويل نيتشة لفكرة الإنسان الأعلى جعل المرأة ضمن أنموذج هذا الأخير، ذلك لأن نيتشه رأى في المرأة قوة هادفة، قوة خلاقة، بإمكانها ان تجعل المرأة تتحرر من كل القيم السائدة، التي تجعل منها مخلوق ضعيف خاضع لكل القوانين الجائرة، التي تبقيها مستسلمة للأفكار السائدة التي أخضعها لها المجتمع.

رأى نيتشه أيضا في المرأة ذلك الإنسان الذي يملك إرادة قوة هائلة، والتي وصفها نيتشه بإرادة الخلق، أي أن المرأة تملك قوة خلاقة، والتي من خلالها تتجاوز ذاتها وكل من حولها، تلك القوة التي تجعلها تتصف بالصبر والشجاعة والمخاطرة وهذا بالضبط ما جعل زرادشت يفكر في جعلها طرفا فعالا في عملية الخلق _خلق الإنسان الأعلى_ ، لأن هذا الأخير في نظر نيتشه لم يوجد بعد، ولذلك على المرأة المتفوقة أن تستلم هذه المهمة، وأن تتحرر من كل ما حولها من قيم وأفكار لا قيمة لها، وأن تفكر فقط في عملية خلق الإنسان الأعلى، تلك الإرادة الخلاقة التي جعلت نيتشه يعتبرها << نموذجا أعلى للإنسانية المتفوقة على حد تعبيره، لأنها والدة الإنسان الأعلى>>[2].

هذا بالضبط ما سيتم البحث فيه والعرض له في الفصل الثالث؛ فرغم سيطرة المرأة على كتابات نيتشه؛ إلا ان قضية المرأة عنده كما يرى الدكتور على عبود المحمداوي << نالت الكثير من التحفظات، بحيث لا نعثر عنها عند دارسي نيتشه إلا جزئيا>>[3]، لذلك بالإضافة إلى محاولة الدكتور على عبود المحمداوي وبعض الباحثين، سنحاول نحن اقتراح محاولة جديدة لدراسة قضية المرأة وعلاقتها بتأويله لمفهوم الإنسان الأعلى.

---

[1] نفس المرجع، ص266

[2] علي عبود المحمداوي، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص81.

[3] نفس المرجع، ص73.

خلاصة:

الإنسان الأعلى إذن هي الغاية الأسمى هي الفكرة العظيمة التي جاء بها نيتشه ليعارض بها كل القيم السابقة (الفلسفية و الدينية والأخلاقية)،كما أنه الغاية التي يسعى الإنسان لتحقيقها، جراء الدافع الطبيعي داخله، فيجعله ذلك الدافع يرغب في التفوق، إذ أنه يملك رغبة طبيعية في تجاوز ذاته وأن يصير أفضل مما هو عليه في الواقع، أي أن يصير"إنسانا متفوقا".

فالإنسان الأعلى ليس الإنسان الأخير الذي فقد كل مثاليته وكل قدرته في التجاوز ذاته، وليس إنسانا داروينيا يسعى للتطور والارتقاء فسيولوجيا، ولا هو إنسانا نازيا؛ لأن نيتشه لم يكن يوما مناصرا للنازية، كما أن الوطنية ليست أمر مهم بالنسبة إليه، والأهم من هذا أنه ليس إنسان وارثا للقيم السائدة، بل هو الإنسان المقيم للقيم ومؤسسها.

إنه الإنسان الديونيزوسي على حد تعبير نيتشه، ذلك الإنسان الروحي الذي يملك إرادة قوة، ويقبل العيش في خطر ويمتلك من الشجاعة ما يمكنه من تجاوز متاعب الحياة وشقائها، وأن يتميز بعقل حر، وأن يتمتع بإرادة خلاقة، من أجل خلق الإنسان الذي لم يوجد بعد.

الفصل الثالث:

علاقة تصور نيتشه للمرأة بفكرته عن الإنسان الأعلى

تمهيد:

لطالما فهمت أفكار نيتشه وتصوراته بشكل سيء، ولطالما أولت وفسرت بشكل خاطئ، والدليل على ذلك هي بعض القراءات التي أعطت لنا أفكارا ليست يقينية حول ما تركه في مؤلفاته، لأننا لو قارنا بين ما يكتبه نيتشه وبين ما تم تأويله من تلك الأفكار التي يكتبها سنجدها غير دقيقة، وموضوع المرأة من بين تلك الأفكار التي أسيئ فهمها وتأويلها؛ فقد كان من الشائع على نيتشه أنه أعظم حاقد ومزدري للمرأة حتى أننا كنا من بين الذين يعتقدون هذا الاعتقاد، لكن بعد هذه المحاولة الجديدة في لدراسة قضية المرأة عند نيتشه، والتي عدنا فيها إلى نصوص نيتشه، حيث تظهر لنا موقفه الحقيقي للمرأة، علنا نجد حقائق وأفكار جديدة تتنافى مع ما تم تأويله من قبل الدارسين السابقين.

ومن هنا حاولنا في هذا الفصل من الدراسة الإجمالية أن نعطي تصور جديد وصحيح مستقى من مؤلفاته الفلسفية وليس من حياته الشخصية كما هو شائع، سنحاول في البداية أن نقدم نظرة نيتشه للمرأة إلى أن نصل لموقفه الصحيح منها، وبالتالي نقدم دليلنا على هذا التفسير أو التأويل الجديد بأن نقدم المرأة كنموذج للإنسان الأعلى الذي يمثل الطموح المنتظر من المرأة حسب نيتشه وذلك من خلال التطرق لبعض العناصر المهمة والتي من خلالها نلمس النقاط التي يحاول نيتشه فيها صنع المرأة الخلاقة، والتي في نهاية المطاف ستكون أعظم مخلوق؛ أي كيف ستتجاوز المرأة كل العادات والتقاليد والتراث لتكون بذلك إنسانا متفوقا على ذاته وعلى كل من حوله؛ وبالتالي تستلم مهمة جديدة وهي أن تصير أما للإنسان الأعلى أو المرأة الخلاقة، ولأن ظهور الإنسان الأعلى له علاقة بمفاهيم الحب والصداقة فكان لابد من التطرق لهذه المفاهيم.

إذن ما هو التصور الصحيح للمرأة في فلسفة نيتشه؟ وما علاقة هذا التصور بالإنسان الأعلى؟

المبحث الأول: البعد السيكولوجي لتصور نيتشه للمرأة

لعله من بين المواقف التي أسيئ فهمها وتفسيرها هو موقف نيتشه من المرأة وكذا ربط تصور نيتشه للمرأة بحياته الشخصية، حيث أن هذا الموقف فهم خطأ وعليه قررنا العودة إلى نصوصه والتوغل في أفكاره وآرائه وتصوراته حول المرأة وأن نحاول وضع تأويل جديد فيما يخص هذا الموضوع بالذات، فإذا كان نيتشه حاقدا على المرأة فعلينا معرفة الأسباب أولا وذلك بالرجوع إلى نصوصه وليس إلى حياته الشخصية، أما إذا اكتشفنا أنه كان غير حاقد على المرأة ولا خصم لها، بل مناصر لها، ولو تأكدنا أن هذا هو الفهم الصحيح والمطلوب فهذا يعني أننا قد أخطأنا في حق نيتشه وأننا لم نفهم شيء من حقيقة موقف نيتشه تجاه المرأة.

لما علينا أن نبقى أغبياء نقرأ الجمل قراءة حرفية ونتبعها تبعية عمياء وننتصر لها دون أن نفهمها، لماذا لا نستخدم عقولنا لنقرأ ما وراء السطور حتى لا ننخدع من جديد << ونيتشه يؤكد مرارا أن مؤلفاته لا يمكن فهمها إذا ما قرئت بسرعة وعجله و وجوب الاحتراس، في قراءة ما يكتب >>[1].

لما لا نحاول التريث في فهمنا لآراء نيتشه وتصوراته اتجاه المرأة، فربما نفهم ما لم يستطع غيرنا أن يفهمه فقد نكتشف ما لم نكن نتوقعه مثلما حدث معنا بالضبط أثناء قراءتنا لأفكار أفلاطون وروسو وغيرهما المتعلقة بالعدالة والمساواة والحرية فلعل كره نيتشه الظاهر للمرأة يخبئ ورائه مستقبلها الأبدي، أو لعله كان إستراتيجية اتبعها نيتشه وبدأها بالنقد حتى يتمكن من العلو بها إلى مرتبة تتمكن من خلالها أن تصبح فاعلا مبدعا في المجتمع.

أولا : النقد الموجه للمرأة من طرف نيتشه

لقد حاول نيتشه الحفر في تاريخ المرأة وعن مكانتها في المجتمع، وقد اكتشف أن هويتها تشكلت وفق شروط ومتطلبات أملتها عليها العادات والتقاليد التي كانت سائدة في تلك المجتمعات القديمة والحديثة لأنه: <<عندما جاء نيتشه بثورته الجنيالوجية ليحطم الأصنام وينتصر بالحياة بمحاربة العدمية لخلق الظروف المناسبة لولادة الإنسان الأعلى ونموه وفق مبدأ إرادة القوة، لم يقتصر إنسانه الأعلى على الرجل دون المرأة، بل إنه وبقد ما إنتقد الرجل الضعيف الخائر وشبهه بدودة الأرض في معرض حديثه عن الرجل الأخير،

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق،ص191.

إنتقد كذلك امرأة عصره التي طالها من الضعف ما طال الرجل>>[1]، بمعنى أن النقد الذي وجهه نيتشه للمرأة لم يكن بداعي إنتقاص من قيمتها، بل نقده لها كان لزاما عليه بما أنه إنتقد الرجل الأخير وكل القيم التي كان يقتدها فإنه كان لابد أن ينتقد المرأة أيضا لأنها كانت جزء من تلك القيم كما أنها كانت تابعة للإنسان الأخير الذي نقده نينتشه، حيث نقدها من جميع النواحي وبدأها من طبيعتها.

فطبيعة المرأة كما يرى نيتشه << تعد عقبة كأداء في وجه حركتها الخاصة بها، كونها بطبيعتها المسالمة تحترم السلطة السائدة التي يقرها المجتمع وليس بمقدورها أن تتحدى هذه السلطة أو تخالف هذه الأفكار ومن هنا كان تعلقها بالرجل يجول دون مضيه في طريق تحرره من نفسه فضلا عن تحررها بالذات >>[2]، والمعنى من هذا أن طبيعة المرأة البيولوجية حسب نيتشه تشكل بالنسبة إليها حاجز يجول دون الشعور بذاتها المتحررة، ولهذا السبب يعاتب نيتشه المرأة لقبولها الشخصية الضعيفة السليلة التي اختارها لها الرجل، حيث نجده يقول: << أغلبهن مثقفات على الضعف متلهفات على شفاقتهن الصارخة على ازدرائهن لكل ألم >>[3]، يرى نيتشه أن المرأة رغم كل ما تتعرض له من ألم ومعانات من قبل الطرف الآخر، إلا أنها لا تهتم لكل ذلك ، بل إنها هي الأخرى أصبحت مثقفة على تلك الإهانات.

وفي مقام آخر يعبر عن استيائه من طبيعة المرأة فيقول:<< كل النساء يظهرن أنفسهن في غاية الرقة في تعظيم نقائصهن، بل يتفنن في اختراعها ليظهرن هشات >>[4]، يتأسف نيتشه من الوضع الذي وصلت إليه المرأة، الوضع الذي جعل المرأة نفسها تعجز في الخروج منه، والأسوأ من ذلك أنها اختارت طرق تزيد من تحقيرها وازدرائها، وذلك ظنا منها أنها وجدت خلاصها، ففي اعتقادها أنها كل ما أشعرت الرجل بضعفها ونقصها، شعر هو بقوته وعظمته، وبالتالي أصبحت مصدر قوته وعظمته، ومن ثم تكون شيئا مهما بالنسبة له، وهذا في نظر نيتشه هو خطأها الأعظم.

---

[1] نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، مجلة الأردنية للعلوم الإجتماعية، المجلد (10)، العدد (3)، 2017، ص368.

[2] مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية نيتشة، مرجع سابق، ص55.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق،ص74.

[4] مجدي كامل، فردريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، مرجع سابق،ص94.

نيتشه أيضا في نقده للمرأة عنى المرأة المسترجلة أيضا وليست الضعيفة فقط، فهو يرى أن إسترجال النساء يعود إلى قلة رجولة الذكور، ويظهر ذلك في قوله: <<هنا تسترجل النساء لقلة ما يتصف بالرجولة الرجال، وما يحرر المرأة من خلالها فيها المرأة الحقيقية إلا من تكاملت الرجولة فيه>>[1]، ومن هذا المنطلق يرى نيتشه أن المرأة هي الملام الوحيد في تحقير ذاتها كونها هي الأخرى تساهم في تكريس هذه الدونية، فهي في نظره أكبر عدو لنفسها [2]، لأنها لم تحاول أبدا أن تتحرر من تلك العادات والتقاليد التي تجعلها إنسانا عاجزا وضعيفا، إنسانا خاضعا لقيم جائرة وظالمة، بل بقية مسالمة ولم تثر أبدا ضد كل من حولها، هذا النوع من النساء يصفهن نيتشه بالسليلات اللاتي ورثن كل ما كان سببا في وضعهن في قفص المعانات من أفكار واعتقادات بالية ومخادعة لها.

كما أن نيتشة لا يحمل الرجل مسؤولية تحقير المرأة بقدر ما يحمل المرأة مسؤلية تحقير ذاتها، ودليل ذلك فيما يرى نيتشة تلك الشعارات التي تنادي بمساواتها للرجل، ففي نظر نيتشه تلك الشعارات في حد ذاتها تفتح مجال آخر لتحقير المرأة لذاتها[3]، وفي هذا المقام يقول نيشة : << ثمة نساء يفتقرن إلى ذهن نير، لا يجدن طريقة للتعبير عن أعمق حاجاتهن إلا بمنحهن وإهدائهن فضيلتهن، وغابا ما تمنح هذه الهبة بإلزام الموهوب الذي تشترطه الواهبات، وفي ذلك مأساة حقيقية>>[4]، هذا النوع من النساء حسب نيتشه هن صاحباة الهبة الخاسرة حيث يمنحن أنفسهن بلا مبالاة، فالمرأة في هذه الحالة تعبر عن معنى الغباء و السذاجة، فهي مازالت تأمن بحقيقة مزيفة وهي أن المرأة خلقت من أجل الرجل.

لاحظ نيتشه في طبيعة المرأة << أنها منذ ولادتها تتلبس زي المتلقي والمنفعل بأوامر الرجل لأنها تخضع إلى ضغط تاريخي، حيث تبرع في ترجمة أنوثتها على حساب إنسانيتها>>[5]، معنى هذا أن نيتشه يعتقد أن الغريزة بالنسبة للمرأة دليل ضعف وعجز، وذلك بسبب طبيعتها الساذجة التي جعلتها تحط من قيمتها.

---

[1] نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص369.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق،ص78.

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[4] نفس المرجع، ص79.

[5] مصطفى غالب، نيتشه(في سبيل موسوعة فلسفية)، مرجع سابق، ص55، ص56.

هذا بالضبط ما يعيبه نيتشه في المرأة؛ حيث يرى بأنها لا تشعر بقيمتها الحقيقية، بالإضافة إلى ذلك فإنها تنظر إلى ذاتها وإلى كل ما حولها بنفس النظرة السطحية، وهذا ما جعلها تدين نفسها بالتبعية للرجل، ما دفع نيتشه لانتقاد وذم المرأة التابعة، كونها إنسانة ضعيفة لا يمكنها أن تعيش بعيدا عن الرجل، لأنه بالنسبة لها مصدر حماية، وهذا خطأ آخر تقع فيه المرأة[1].

أكثر ما يعيبه نيتشه في المرأة هو تركيزها على هدف واحد وهو وضع الطفل، تلك الغاية التي جعلت المرأة في وضعية منحطة تمثل فيها عنصر التابع، فالمرأة حسب نيتشه تستخدم الطفل لإغواء الرجل، لان السلاح الوحيد لإرضاخ الرجل هو الولد، هذا ما يجعل نيتشه يشيط غظبا من المرأة التي تبحث عن خلاصها بوضعها للطفل وتنسى دورها الأصيل على حد تعبيره[2].

لا تزال المرأة مستقلة عن ذاتها، وهذا ما جعل نيتشه يقر بأن المرأة والروح مستقلان؛ فالروح يدفعها السلوك الذاتي أما المرأة فلا يمكن أن ترقى إلى مكانة أعلى، بل تبقى حسبه بمرتبة الأشياء المملوكة[3]، هذا صحيح فمادامت المرأة لا تعرف مدى القوة الهائلة التي بداخلها فلن ترقى أبدا إلى مكانة أعلى، فإذا كانت الروح يدفعها السلوك الذاتي فعلى المرأة أن تكتشف في أعماقها" إرادة الخلق " التي لديها، وإلا فلن تتمكن من التحرر والتفوق.

لا أحد ينكر أن نيتشه واحد من أهم فلاسفة الاختلاف الجنسي، لذلك فهو يرفض المساواة بين الرجل والمرأة، ويبين ذلك من خلال طرحه لفكرة الحب والجنس؛ حيث يختلف مفهوم الحب عند نيتشه من الرجل إلى المرأة، أي أن كل من هذين الجنسين يقصد في الحب شيئا مخالفا لما يتوقعه الآخر وهذا هو شرط الحب؛ فالحب بالنسبة للمرأة تقيم وعطاء وتخلي تام عن النفس والجسد للعاشق دون شروط أما في اعتقاد الرجل؛ فالحب مختلف تماما عنه، فإذا أحب الرجل المرأة فإنه يطلب من المرأة ذلك الحب، وهو الذي يريده الرجل من المرأة، وذلك ليستزيد به لا أكثر ولا أقل[4].

---

[1] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص81.

[2] علي عبودالمحمداوي و آخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص77.

[3] مصطفى غالب، نيتشه(في سبيل موسوعة فلسفية)، مرجع سابق، ص55، ص56.

[4] فردريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقية، إفريقيا الشرق للنشر، الطبعة الأولى، 1993، ص231.

هذا دليل واضح لعدم المساواة التي قال بها نيتشه، والتي فهمت خطأ، فالاختلاف الجنسي الظاهر بين كلا الجنسين هو الذي دفع نيتشه لرفض المساواة بينهما، فالحب والجنس هما أول نقطة يشرح بها نيتشة رفضه للمساواة، فهو يعتقد أن الحب لا يدل على الشيء نفسه عند الجنسين، لان الحب في تصوره يفترض عدم اشتراط وجود نفس المشاعر من الطرفين، فالمرأة حسبه إذا أحبت فإنها تضحي بأغلى ما تملك، بل تعتنق ذلك الحب مذهبا تؤمن به، وقد تتخطى كل الحدود والشروط في سبيل حبها، ولذلك يقول عنها نيتشه أنها: << تتحمل نجاح هبة نفسها للآخر، فبمجرد أن تمنح المرأة نفسها تنتظر المقابل _ الطفل_ تمنح أغلى ما تملك لتنتظر الرد بالمثل_ الطفل_ وهذا ما يؤسف نيتشه>>[1]، يرى نيتشه أن هذا النوع من الحب الذي تمارسه المرأة فيه عبودية، أي أنها تجعل نفسها تابعة ومحكومة بسبب غريزتها، ولذلك فهي المسؤولة في نظر نيتشه عن جعل نفسها عبدة للرجل بسبب تتبعها لشهواتها بكل غباء، يقول نتشه في وصف هذا النوع من النساء: << يفتقرن إلى ذهن نيير، لا يجدن طريقة للتعبير عن أعمق حاجاتهن إلا بمنحهن وإهدائهن فضيلتهن، وغالبا ما تمنح هذه الهبة بالتزام الموهوب الذي يشترط فيه الواهبات وفي ذلك مأساة حقيقية >>[2].

ينتقد نيتشه النساء اللواتي يفتقرن للذكاء ولا يستخدمن عقلهن لمصلحتهن، حيث يمنحن أنفسهن بلا مبالاة، فهذا النوع من النساء على حد تعبير نيتشه يصفهن بالغبيات، ويقول في هذا الصدد: << تريد المرأة أن تأخذ وأن تقبل كملكية، تريد أن تزدهر في مفهوم الملكية، وبالتالي فهي ترغب في رجل يأخذ، ولا يعطي نفسه ولا يتخلى عن نفسه... المرأة تتخلى عن نفسها، الرجل ينمو أكثر>>[3]، هذا الحب هو نفسه الحب الاستعبادي، الذي ينتقده نيتشه، بحيث يسلم فيه المحب ذاته للمحبوب بلا مبالاة وبلا شروط، فنيتشه يعتقد أن مفهوم الحب قد أسيئ فهمه، ولذلك فقد سعى لإعادة المعنى الصحيح له، ففي نظره الحب نوعان، فالحب الذي ينطوي على العطاء والتخلي التام على النفس للمحبوب هو حب

[1] على عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص78.

[2] نفس المرجع، ص79.

[3] فردريك نيتشه، العلم المرح، مرجع سابق، ص231.

استعبادي، أما الحب الحقيقي فهو الذي يسمو بصورة المحبوب، وهو حب مقدس هذا الذي ينشده نيتشه[1].

يرفض نيتشه أيضا المفهوم السائد لمصطلح للصداقة، بل إنه ينتقدها كونها، لأن تلك الصداقة حسبه بلا قيمة، لأنها تجعل الإنسان عبدا؛ لذلك فهو يدعو إلى ترك هذا النوع الفاشل من العلاقات، ولهذا نجده يفصل بينها وبين العبودية؛ فالصداقة إذا امتزجت بالعبودية فإن قيمتها تزول، لأن الإنسان الذي يصبح عبدا بسب مشاعره وعلاقاته لا يمكن أن يكون حرا و انما يبقى تابعا لمن حوله وربما يتحول إلى أكبر منافق، وبالتالي فهو لا يستحق أن يكون صديقا [2].

يعيب نيتشه ذلك النوع من الصداقة والذي يجعل الشخص تابعا للطرف الآخر، فالصديق الذي لا يرى في صديقه مثلا أعلى، لا يستحق أن يكون صديقا لان هذا النوع من الأصدقاء، يعيشون في وهم النفاق والخداع الاجتماعي، فالخليل الحقيقي في نظر نيتشه هو الذي يواجه صديقه بنقائصه ومساوئه، بأن يحاول معالجتها وأن يسمو به إلى الأفضل.

تكلم نيتشه عن مفهوم الصداقة بالنسبة للمرأة، وبدأ نقاشه في هذه النقطة بقوله: <<لقد مرت أحقاب طويلة على المرأة كانت فيها مستبدة ومستعبدة، فهي لم تزل غير أهل للصداقة، فالمرأة لا تعرف غير الحب>>[3]، يرى نيتشه أن السبب وراء جعل المرأة غير أهل للصداقة هي الأوضاع الاجتماعية التي كانت المرأة تعيش في خضمها، فقد كانت مستعبدة ولهذا لم يكن لها الحق في أن تكون علاقات اجتماعية، باستثناء الحب الذي كان مرتبط بمفهوم الجنس، فالمرأة آن ذاك لم تكن سوى آلة مصنوعة لخدمة الرجل وإشباع رغباته الجنسية، فالحب كان مجرد مسوغ للعلاقات الجنسية، دون أن يكون له أي قيمة أو أي معنى، أما الصداقة فلم يكن للمرأة أي فرصة لتكون مثل هذا النوع من العلاقات، لأنه مثل هذه العلاقة السامية تحتاج إلى أرواح حرة.

يؤكد نيتشه على عدم أهلية المرأة للصداقة، فيقول في هذا الصدد: << ليست المرأة أهلا للصداقة، ولكن ليقل لي الرجال من هو أهل للصداقة بينكم، إن فقر روحكم وخسارتها

---

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص231.

[2] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص45.

[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.

يستحقان العنة أيها الرجال، لأن ما تبذلونه لأصدقائكم يمكنني أن أبذله لأعدائي دون أن أزداد فقرا، لأنكم لا تتخذون الأصحاب، فأي متى تسود الصداقة بينكم >>[1]، إن هذا النقد الذي وجهه نيتشه للمرأة بخصوص عدم أهليتها للصداقة هو أيضا موجه للرجل كذلك، لأن هذا المفهوم السائد بين الجنسين للصداقة يتنافى كليا مع المفهوم الذي ينشده نيتشه، ولذلك فهو يسخر من كلا الجنسين في حقيقة فهمهما للصداقة، لأنهما لا يعطيان لهذه العلاقة المقدسة قيمتها الحقيقية.

ثانيا: نيتشه والوجه الآخر للمرأة

يحاول نيتشه من خلال النقد الذي وجهه للمرأة أن يشير إلى نقطة مهمة جدا وهي أنه لابد للمرأة أن تتخلص من طبيعتها الساذجة وأن تتجاوز غريزتها وتسمو بها، ولكي تفعل ذلك يرى نيتشه أنه عليها أن تستعين بملكة العقل لديها؛ فحسب نيتشه خلق المرأة المتفوقة يتحقق<< بانسجام جزئيها العقلي والغريزي>>[2]، بمعنى أنه لتتجاوز المرأة عجزها لابد أن تستخدم عقلها وعاطفتها معا، بحثا عن بلوغ درجة قريبة من الكمال الروحي، لتصير إنسانا متفوقا كما يطمح نيتشه.

يسعى نيتشه لجعل المرأة تتجاوز كل الصفات التقليدية الموروثة من المجتمع ففي نظره لا بد أن يتجاوز الإنسان إنسانيته لكي يتمكن من العلو بها والسمو بها إلى مراتب متفوقة؛ فمن خلال هذا النقد الذي لامس المرأة من أعمق تفاصيلها وذلك بهدف تخليصها من الانغلاق والتحجر في العادات والتقاليد الموروثة.

يرى نيتشة أن المرأة تمتلك بعض الصفاتالأنثويةالتي تتميزبها، كاستخدامها لأنوثتها ضد الرجل واللعب على أوتاره الذكورية من أجل جذبه، مثل هذه الصفات تجعل نيتشه ينتبه إلى القوة الكامنة داخلها و لذلك يحاول أن يجعلها تستغل هذه الغرائز في نطاق يسمح لها بأن تكون أكثر قيمة، لعله لهذا السبب يمجد نيتشه ذكاء المرأة أو بالأحرى دهائها في لعب دورها حيث نجده يقول:<< الغباء عند المرأة ليس من الأنوثة>>؛ بمعنى أنه على المرأة أن تكون حادة الذكاء وذات سعة واسعة من الإطلاع وتكون لها جرأة نادرة، حتى تتمكن من

[1] فردريك نيتشهن هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص46.

[2] علي عبود المحمداوي، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص76.

تجاوز كل العادات والتقاليد بكل شجاعة وهذا النوع من النساء هو الذي يفضله نيتشه ويدعو المرأة أن تكون بهذا الشكل.

ولعل معظم النساء اللاتي اختارهن نيتشه في حياته كن من هذا النوع الذي يناشده أمثال "كوزيما فاغنر" و"لوسالومي"، ولهذا نجده يدعوا الرجال لاختطاف المرأة التي ينبض من أجلها قلوبهم، ذلك لأن هناك نوع من النساء لا يعوضن إذا تمت خسارتهن[1]، نجده في مقام آخر يتساءل محتارا في أمر المرأة فيقول: << الحقيقة أنها امرأة ولا شيء أفضل، في حياتها ماكرة ما تحبه أفضل لا تريد معرفته، بأصابعها تخفيه، إلى ماذا تخضع؟ فقط للقوة، اعتمدوا القوة وكونوا أشداء أنتم أيها الناس الأكثر حكمة، وجب عليكم إرغامها الحقيقة المحتشمة لسعادتها لابد من إرغامها، إنها امرأة لا شيء أفضل>>[2]، هذي الدعوة التي دعا بها نيتشه الناس الحكماء في تعاملهم مع المرأة، لا تعني كما هو شائع بأنها دعوة عنف ضدها فهذا غير صحيح بتاتا؛ فنيتشه يقصد من وراء ذلك أن يستخدم الرجل العنف الذي تجد فيه المرأة سعادتها، فهي على حد تعبير نيتشه كالحكمة تماما مستهزئة وعنيفة، فهي حسبه امرأة في كيانها هي أقوى من ما تبدو عليه ولذلك فلن ترضى سوى بالرجل البطل الذي يشعرها بأنوثتها وتحصل معه على الأمان[3].

يعترف نيتشه بمدى القوة الهائلة والكامنة داخل المرأة، فهو يشبهها بالحكمة التي يصعب فك ألغازها وسبر أعماقها بسهولة، فهي بالنسبة إليه أقوى مما تبدو عليه، فالأمان الذي قصده نيتشه هنا ليس بالمفهوم السائد الذي تسعى المرأة الضعيفة للحصول عليه تحت قبضة الرجل، إنما الأمان الذي يقصده هو نتيجة يصل إليها طرفي العلاقة(المرأة والرجل)؛ بحيث كل طرف يسعى لتجاوز ذاته من خلال الآخر الذي يعد الجسر الذي يعبر عليه كلاهما للوصول إلى مكانة أعلى، فمعالجة نيتشة لقضية المرأة لا تخرج عن إطار علاقتها بالرجل.

يأكدنيتشه أن داخل المرأة إرادة خلاقة، ربما حتى المرأة لا تعرف عن نفسها ذلك، ولذلك فهو يستهزئ من الذين يحسبون أن المرأة مخلوق ضعيف؛وفي هذا الصدد نجده يقول: << فمن

---

[1] فردريك نيتشه، ديوان نيتشه، ترجمة: محمد بن الصالح، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الثانية، 2005، ص157.

[2] مجدي كامل، فردريك نيتشه، شيطان الفلسفة الأكبر، مرجع سابق، ص125.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص75.

يحسب أن المرأة كائنا ضعيفا يغرق في حسبانه >>[1]، يرد نيتشه من خلال هذا القول عن كل من اعتقد أن المرأة مخلوق ضعيف، لأنه قد لامس تلك القوة في علاقاته مع النساء اللواتي تعرف عليهن عن كثب، بالإضافة إلى أنه محلل نفسي فليس غريبا أن يفهم بعض أسرار المرأة .

لطالما كان نيتشه يحلم بأن يقابل امرأة تملك صفات الكمال التي يناشدها كالجرأة والذكاء والاستقلالية والجموح، حتى أنه في ديوانه كتب لها شعرا: << أخشاك دانية، أحبك نائية... إعراضك يجذبني وإقبالك يوقفني، أنا أتألم لكن أي ألم لا أتحمله حبا لك>>[2]، بعيدا عن نيتشه الفيلسوف نرى نيتشه الرجل ونظرته للمرأة، حيث كانت نظرة عصرية يمنحها فيها كل الاستقلالية التامة والحرية التي كانت تفتقدها منذ عصور مضت، يبحث نيتشه عن امرأة ذكية جريئة تملك من الشجاعة و حب المغامرة ما يمكنها من التحرر من كل القيم السائدة التي جعلتها تعاني من الإنغلاق و التحجر في التقاليد.

فنيتشه يفضل المرأة التي لا تحاول في علاقاتها العاطفية أن تكون عبدة، تصور نيتشه المرأة في أسمى صورها، حيث قابل هذا النموذج الراقي في المرأتين اللتان لعبتا دورا عظيما في حياته وهما (لوسالوميوكوزيمافاغنر)، حتى أنه كتب لها في نصوصه أيضا، هذا النوع الذي فشل نيتشه بحد ذاته في التعامل معه، فكان يفشل في علاقاته مع النساء دائما وكان هذا أكثر الأمور إحباطا له في مسيرته الشخصية، كانت أول علاقاته مع النساء مع المدعوة "لوسالومي" أحبها حبا أسطوريا، اعتقد نيتشه عند لقائه بها أنه وجد ما كان يتمناها ويناشدها ولكن للأسف فقد تعرض لصدمة قوية وعنيفة حين رفضته.

اكتشف نيتشه أن المرأة لا تهوى الرجل الذي يجعل من نفسه عبدا لها، بل تفضل الرجل الذي لا يوليها أي اهتمام الذي يظهر امامها كبرياءا عظيما، لاشيء فقط لأن ذلك يجعلها تتجاوز أشياء لتخلق أشياءا أخرى، وهذا في حد ذاته يجعلها تتجاوز ذاتها لتكون أفضل، ولهذا نجد الرجال الذين لا يوفرون جهدا في علاقتهم العاطفية بحيث يتفانون في تقديم الهدايا إلى الطرف الآخر في العلاقة العاطفية، كما لا يفوتون أي لقاء دون تأخير، نجدهم أكثر الناس عرضة للصدمة حين يرون أن الفتاة التي يسعون إلى حيازتها تبحث عن

[1] نديم نجدي، إضاءات نيتشويه، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الجزء الأول، ب ط، 2013، ص56.

[2] فردريك نيتشه، ديوان نيتشه، ترجمة: محمد بن صالح، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الثانية، 2009، ص100.

الارتباط برجل آخر يمتلك صفات مناقضة تماما، وهذا تماما ما حدث مع نيتشه، وقد تعلم نيتشة من صدمته تلك وقد خرج بقاعدة تظهر المرأة في صورة قوية، ويظهر ذلك في قوله: << يغدو بشعا في نظر المرأة كل من يجرفه حبه لها إلى الخضوع لإرادتها >>[1]، أنا أوافق نيتشه في هذا الرأي، فمهما كانت قوة الحب هائلة لا يجب أن يجعل الطرفين نفسيهما يخضعان للطرف الآخر، فالمرأة القوية الجامحة لا تنجذب للرجل الذي يخضع لها، بل تبحث عن الرجل الذي من خلاله تصبح أقوى مما هي عليه.

يتجلى في الحديث السابق وبشكل واضح تأثير نسبي من الجانب الشخصي في تصور نيتشه للمرأة؛ فعلاقات نيتشه بالمرأة كانت كلها فاشلة لذلك نجد في بعض المقاطع التي اقتبسناها من ديوانه وبعض كتبه تفسر حرمانه من الجنس الآخر ويظهر ذلك في زفراته فيقول: << اسم كريم، ساق جميلة، آه كم رغبت حيازتها >>[2]، وفي شذرة أخرى نجده يتحسر على المرأة التي لا تعوض والتي لم يستطع حيازتها ربما كانت أفضل امرأة عرفها نيتشه هي كوزيما وربما هي التي يوجه لها نيتشه هذا الخطاب لأنها الوحيدة التي كانت تملك كل المواصفات التي كان نيتشه يناشدها في أي امرأة و بالأخص، المرأة التي ستكون شريكة حياته فيقول: << لم أجد مطلقا المرأة التي أريد أن تكون لي منها أولادا، إلا هذه المرأة التي أحبها >>[3]؛ يقصد نيتشه هنا المرأة الجامحة والتي رآها في كوزيما فاغنر، تلك المرأة التي تتميزبالشجاعة و التحرر.

فرغم الصدمات التي تلقاها نيتشة من المرأة إلا أنموقفه إتجاهها، لم يكن بدافع شخصي كما هو شائع، وإنما جاء نتيجة، لتعبيره الفلسفي عن طبيعة المرأة، فنيتشه في معالجته لقضية المرأة لم يكن يعني بانتقاده ذاك أي امرأة كانت، بل كان نقده موجها بالخصوص للمرأة الضعيفة، بأن يبحث في نوازعها عن القوة التي تسيطر على تصرفها بصفة عامة ويحاول اكتشاف مدى ضعف أو قوة تلك النوازع[4]، فمن خلال فهم نيتشه لنوازع المرأة، فإن ذلك يمكنه من كشف أسرارها والتي من خلالها يحدد لها حلولا تناسب مصيرها، سعيا منه لإظهار الجانب الخفي للمرأة والذي يمثل نقاطقوتها في مقابل لتخليصها من هذا

[1] نديم نجدي، إضاءات نيتشوية، مرجع سابق، ص55.

[2] مجدي كامل، فردريك نيتشه شيطان الفلسفة الأكبر، مرجع سابق، ص125.

[3] عبد الرحمن بدوي، نيتشه، مرجع سابق، ص273.

[4] على عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق،ص89.

الضعف الذي هو ظاهر عليها، والذي أبقاها في المرتبة الدونية في فترات مختلفة من التاريخ سواء الاجتماعي أو النفسي أو الفلسفي.

وليصل نيتشه إلى هدفه الأسمى هذا، اتخذ من النقد إستراتيجية حاول من خلالها أن يضع إصبعه على النقاط الهامة والأسباب الرئيسية التي جعلت من المرأة تابعة لمدى طويل، رغم أن الكثيرين من فهموا هذا النقد بأنه انعكاسا لسوء العلاقة بين نيتشه والمرأة شخصيا، إلا أن هذا اعتقاد خاطئ لأنه بعيدا عن نيتشه الرجل، هناك نيتشه الفيلسوف، وليس من الصائب أن نحكم على أفكار فيلسوف ما، وذلك فقط بمجرد العودة إلى حياته الشخصية، متغاضين عن أهم كتبه ونصوصه التي شكلت تأثير كبير في الفلسفة الغربية المعاصرة.

ولو كانت الجملة الأشهر عن موقف نيتشه من المرأة، المدونة في كتابه هكذا تكلم زرادشت والتي تجعلنا نعتقد أنه يدعو للعنف ضد المرأة والتي بطبيعة الحال فهمت بالشكل الخاطئ هي الأخرى<< أذاهب للمرأة ، لكن لا تنسى أخذ السوط >>[1]، إلا أن هاته الجملة لا تجعلنا نحكم عليه بأنه حاقد على المرأة أو كارها لها، لأنه قبل خمس سنوات من ظهور تلك الجملة في مؤلفه هكذا تكلم زرادشت كان قد كتب في مؤلفه إنسان مفرط في إنسانيته << المرأة الكاملة نموذج متفوق على الرجل الكامل، وشديد الندرة كذلك >>[2]. وهذا دليل آخر يؤكد أن نيتشه طالما كان ينظر للمرأة بنظرة جديدة ومختلفة، تظهرها بصورة عظيمة، فهل هناك ماهو أعظم من أن يشبه المرأة بالحياة وأن يضعهما في مقام واحد، بحيث تكون المرأة رمز للحياة[3].

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص53.

[2] فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، تر:محمد الناجي، أفريقيا الشرق للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010، ص179.

[3] نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص369.

المبحث الثاني: البعد الفلسفي لتصور نيتشه للمرأة

بعد أن تعرض نيتشه للمرأة بالنقد الذي من خلاله حدد لها جميع النقائص والأسباب التي كانت العامل الأساسي في جعل المرأة بتلك الدرجة من الانحطاط، سواء نفسيا أو اجتماعيا، قدم لها قالب جديد لتتمكن من خلاله استرجاع ذاتها ومكانتها من جديد، والذي من خلاله تتعرف المرأة على خباياها وتكتشف قواها الكامنة، نيتشه لم يكتفي عند ذلك الحد بل وجد لها طريقة لحل جميع مشاكلها لخلاصها، وذلك حتى تتمكن من تحقيق غايتها وهي الوصول إلى القالب الذي حدده لها نيتشه، وهو ما سيتم إدراجه في هذا المبحث.

دافع نيتشه عن قضية المرأة، وسعى لمعالجة آلامها وأوجاعها، بأن يخلصها من كل مشاكلها؛ وذلك من خلال إيجاد علاج مناسب يمكنها من تجاوز وضعها السائد وحتى الراهن، وذلك حتى تتمكن من أن تصير إنسانة متفوقة[1].

وجد نيتشه أن مشكلة المرأة تبدأ إجماليا من طبيعة علاقتها بالرجل، تلك العلاقة التي جعلت المرأة مخلوقا ضعيفا بلا قيمة طوال فترات عديدة من التاريخ، لذلك بدأ نيتشه في دراسة هذه العلاقة ومعالجتها.

أولا: المرأة من التبعية إلى فاعل مبدع

يعطي نيتشه أهمية كبيرة للعلاقة بين المرأة والرجل، فهو يسعى جاهدا لأن يخلص المرأة من كونها تابعة إلى كونها انسانا متحررا، ويبدأ نيتشه بتساؤله: << إلى من توجه المرأة أشد بغضها؟ والجواب في قوة الحديد للقوة الجاذبة: إن أشد كرهي موجه إليك لأنكي تجتذبين وليس فيك من طاقة تربط على من تجتذبين >>[2]؛ يشبه نيتشه علاقة المرأة بالرجل بعلاقة الحديد بالمغناطيس، بحيث تنجذب المرأة للرجل دون امتلاكها لقوة كافية تجعلها تنفصل عنه؛ وكما يرى نيتشه فإنه لكي تعرف المرأة نفسها عليها أن تمر بكل ماهو خارج عن الرجل[3].

[1] على عبود المحمداوي و آخرون، الفلسفة و النسوية، مرجع سابق، ص79.

[2] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص53.

[3] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة و النسوية، مرجع سابق، ص76.

إن مشكلة المرأة في أساسها حقد هووي* اتجاه الجنس الأخر الذي يجعلها تلتصق به دون امتلاك القدرة للانفصال عنه ويقصد نيتشه بفكرة الانفصال إنما الانفصال الجندري* بمعنى انفصال هووي[1].

الواضح أن نيتشه يرى بأن مشكله المرأة تبدأ من ذاتها؛ فهي الوحيدة المسؤولة عن جعل نفسها حديدا يلتصق بالمغناطيس الذي هو الرجل، وذلك لأنها لا تقدر مدى أهمية النازع الحيوي الذي تمتلكه ولهذا يدعوا نيتشه المرأة للتحرر من تلك العلاقة التي تجعلها مجرد منجذب لا يملك القدرة على النفور من القوة الجاذبة وأن توجه كل اهتماماتها إلى نفسها بعيدا عن الرجل.

ولذلك فعلى المرأة أن تبحث عن جاذبية من نوع آخرمن العلاقة تتحرر من خلالها من الجاذبية الهووية التي تبقيها في الأسفل، لابد أيضا المرأة هذه المرة أن تبحث على جاذبية غير هووية بعيدا عن الجنس الآخر،هنا يتساءل الدكتور فتحي المسكيني عن امكانية وجود جاذبية غير هووية عند المرأة بإمكانها أن تخلصها من سلبيات العلاقة الأولى مع الجندر الآخر (الرجل)[2].

نيتشه رأى في المرأة قوة كامنة جعلته يصفها بأنها << كالماس تشع فيها فضائل العالم المنتظر>>[3]؛ والمعنى من هذا أن نيتشه ينبئنا بوجود امرأة قوية مبدعة وخلاقة؛ إن هذه المرأة حسب نيتشه لا بد أن توجه اهتمامها إلى ذاتها وأن تكون كما يجب أن تكون هي عليه وليس كما يريدها الرجل أن تكون، لأنها في النهاية ستكون خالقة للعالم الذي لم يوجد بعد الذي يقصد به نيتشه _ الإنسان الأعلى_ فهذا النموذج الكامل للمرأة المتفوقة حسب نيتشه يفوق الرجل الكامل[4].

---

*حقد هووي: هو حقد جندر على جند آخر أو بالتفصيل حقد جندر المرأة على جندر آخر يدعى الرجل، بوصفه مصدرا للإنجذاب، ولكن من دون توفر ما يكفي من الطاقة لجعل المرأة تنفصل عنه، والقصد بالتحديد الإنفصالالجندري، وليس الفرق الجنسي أو البيولوجي فقط، (نقلا عن فتحي المسكيني الهجرة إلى الإنسانية، مرجع سابق، ص63).

*الجندر:يعني به الفروقات بين الجنسين على أسس ثقافية و اجتماعية، وليس على أسس فيزيولوجية و بيولوجية استخدم هذا المصطلح خلال السبعينات في الدول العربية (التنوع الإجتماعي)، (أبو بكر أميمة، المرأة و الجندر، إلغاء التمييزالثقافي و الإجتماعي بين الجنسين، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003، ص103).

[1] فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، مرجع سابق، ص65.

[2] نفس المرجع، ص66.

[3] علاء عمر النجار، الفلسفة والمرأة خصومة ملفقة(نيتشه أنموذجا)، (تاريخ الدخول إلى الموقع: 11_03_2020، 17:20، https://wwwalawan.org).

[4] فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، مرجع سابق، ص66.

ولوصول المرأة إلى هذا المستوى يرى نيتشه أنه لابد للمرأة أن تكف على جعل الرجل وسيلتها لبلوغ الطفل، ولذلك فهو يرى بأنه عليها أن تختار وسيلة أخرى تظهر من خلالها قواها الكامنة ومثل نيتشه ذلك بالحب الشجاع الذي لا ينتظر مقابلا وأن تكف عن سذاجتها بطلبها للمساواة وهي في الحقيقة الطرف الأقوى وهذا ما وضحه الدكتور فتحي المسكيني في قوله: << كل حب بمقابل أي قائم على المساواة هو حب هووي، وهو عاجز دوما عن الشجاعة أي ركوب المستقبل الحر، ومن المثير أن نيتشه يصف الحب الذي يطلب المساواة أو الحب الهووي بأنه حب المرتبة الثانية>>[1]، فبطلب المرأة المساواة فإنها بذلك تزيد من قهرها لنفسها، ونيتشة يريدها أن تكون الطرف المتفوق.

يرى نيتشه أنه لا بد للمرأة أن تغيرمفهومها للحب، بأن تختار حبا يجعلها تسبر إلى أعماقها حبا شجاعا يقوم على التضحية؛ أي حب يجعلها تتخلى عن كل شيء لخلق عالم جديد لم يوجد من قبل، بحيث تحصل فيه على المساواة دون أن تطلبها وهي أكبر معادلة خلاقة يتساوى فيها كل من الرجل و المرأة من أجل خلق عالم "الإنسان الأعلى" يقول نيتشه في هذا المقام: << غير أن الشرف في حبك هو الخلق الذي يجعلك تبادلين المحبة بأكثر منها فلا تنحدرين إلى المقام الثاني>>[2]، يقصد نيتشة هنا بالمقام الثاني ذلك الحب الهووي الذي يجعل المرأة تابعة للرجل، بل عليها أن تختار حبا يجعلها تنتقل إلى مرتبة أعلى حبا لا يشترط العبودية، فالحب عند نيتشه هو<<وسيلة للعلو يتحقق من خلالها فكرة الإنسان الأعلى، أن يكون حبا مقدسا لا حب عبودية، الأمر لا يخلو من المعانات التي في الحقيقة تعبير عن الشوق إلى الإنسان الأعلى>>[3]؛ بمعنى أن نيتشه يطلب من المرأة بأن تحب، ولكن بطريقة جديدة تجعلها تطمع بذلك الحب إلى الوصول لأرقى أنواع الفضائل العالم المنتضر على حد تعبيره[4]

فالحب في نظر نيتشة أعظم من أن يكون مجرد شعور يجمع بين شخصين في اطار الإعجاب و الإنجذاب، إنما الحب حسبه هو جسر يعبر من خلاله الانسان إلى مرتبة

[1] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2] فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص54

[3] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشة، مرجع سابق، ص232.

[4] فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، مرجع سابق، ص 63، ص64.

العلو، الحب الذي يساهم في إعلاء ذات المتحابين، لأن الغاية من هذا الحب هي غاية إنسانية عليا.

نيتشه يأمن بوجود المرأة الذكية التي يمكنها لعب دورعها ببراعة اتجاة الجنس الآخر، حيث يمثلها نيتشة بصورة الفنانة، فهو كما يبدو<< يقر بوجود المرأة الفنانة التي تمنح نفسها بذكاء في مقابل ذلك صاحبة الهبة الخاسرة التي تضحي بالامبالاة هي فنانة لأن الفنان يضحي بالعطاء دون مقابل ديونيزوسي بطبعه، وما أريان سوى دلالته يتحابان في الفن أو الفن الذكي_ اللعب، الرقص، الضحك ... بالأحرى كل امرأة حاذقة، نبيهة، فنانة تمنح نفسها بذكاء تقدير الأشد خصوصية في الفنان، لتفهمه بكونه فنانا متألما تحبه>>[1]،يعتقد نيتشة أن من يبحث عن هذا النوع من النساء كمن يبحث على الحقيقة، حيث يضعها في مرتبة الجزء الآخر الديونيزوسي، أي طرف في المعادلة الخلاقة التي تهدف لغاية إنسانية عليا وهي خلق الإنسان الأعلى.

ففي نظر نيتتشه مثل هذه المهمة العظيمة لا توكل إلى المرأة الضعيفة إنما هي مهمة المرأة المتفوقة يقول نيتشه عن المرأة المتفوقة: << انها وفيما يبدو لنا وفي حالة الفن هذه _ الجزء الآخر للديونيزوسي لم تتلقى تربية، لكن صار لها شكلا _ الفن_ لتستعيد صورة الفنان الذي يفلح الأرض، التي سيخرج منها الإنسان الأعلى، حركات الفنان و ضرباته القوية، و ضربة واحدة خاطئة ستطير بالهدف الأسمى_ الإنسان الأعلى_>>[2]، يشبه نيتشة المرأة بالفن فهي في نظره كالفنان الذي يخرج من عمقه أشياء لم توجد بعد، حيث يتجاوز بذلك الماضي الذي يسبب له المأساة، فالصراع القائم بين المرأة والرجل على مستوى الحب، بالصراع القائم بين طرفي التراجيديا " ديونيزوس* و أبولون*" وفي دورهما للفن<< فإذا كان الفن يقوم في نظر نيتشه على العنصر الديونيزوسي و العنصر الأبولوني، فذلك لا يعني أن دورهما في الفن واحد، بل يمكننا أن نقول أن الفن في ماهيته إنما هو

[1] علي عبود المحمداوي و آخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص79.

[2] نفس المرجع، نفس الصفحة.

*ديونيزوس: شخصية أسطورية، ولد من رماد أمه (سيملي) بعد أن طلبت من زوجها إلله الآلهة (زوس) أن يظهر لها في كمال مجده، وهو طلب مفخوخ دبرته الآلة (هيرا) وعندما حاول زوس ذلك تحول إلى صاعقة أحرقت سيملي ومن رمادها ولد (ديونيزوس) بهذه الطريقة المأساوية ولد ديونيزوس وتكفلت بها أرواح الغابات وربات الفنون وأنشأته إلى جانب كائن إسمه (سيلين)،(هشام دوخة، نقد الثقافة في فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص55).

*أبولون: هو الإبن الأكبر للآلهة زيوس، يعتبر إله لجميع الملكات المبدعة للأشكال، وهو في نفس الوقت إله المتنبئن ذلك الذي يفهم من خلال 'سمه، المظهر المشع.(هشام دوخة ، مفهوم الثقافة عند نيتشه، مرجع سابق، ص62.

صراع بين الديونيزوسي و الأبولني ... وإذا كان مفهوم الديونيزوسي يقوم في أساسه على تلك الإرادة الأبدية في الإتحاد و التوحيد، توحيد الإنسان وأخيه الإنسان، توحيد كل أشكال التناقض كالمرح و الألم، وكذلك الشعور بالحاجة الملحة للخق و الهدم ... فالعنصر الأبولوني هو ثمرة للحلم الذي يرتقي إلى مستوى الفن>>، من هنا كشف نيتشه عن حقيقة العلاقة بين المرأة و الرجل، فبما أن نيتشه يأمن بالإختلاف فإن عملية خلق الإنسان الأعلى لا تعنى أن للمرأة والرجل نفس الدور، فمن خلال الصراع القائم بينهما على مستوى الحب، نقصد الحب الشجاع الذي يهدم علاقة قديمة ويبنى علاقة جديدة تكون فيها المرأة هي العنصر المتفوق، هكذا شبه نيتشه هذه العلاقة بعلاقة ديونيوس وأبولون، بإعتبارهما طرفي المعادلة الخلاقة.

كذلك يصور نيتشة المرأة بأنها الفنان الذي سيخلق من جوفه إنسانا يفوقه في كل شيء، أي لابد بالحب أن تخرج من جوهرها مستقبلا _الإنسان الأعلى_ وفي هذا الصدد يقول نيتشه:<< وما خير الحب لو تعلمون إلا تحول واظطرام، وفي ألم وخشوع، إن هو إلا مشعل ينير أمامكم مسالك الإعتلا، سيأتي يوم يتجه فيه حبكم إلى مقر أبعد وأرفع من مستقر ذاتكم>>[1]، فالحب حسب نيتشه يجب أن يكون جسرا تتجاوز من خلاله المرأة ذاتها إلى أبعد منها إلى مرتبة أعلى، ذلك الححب الذي لا يطلب مقابل.

وبهذا يكون نيتشه قد وجد مجالا جديدا تكون فيه المرأة هي الطرف المتفوق و المتمثل في علاقة الأمومة، تلك العلاقة التي تعتبر الأقرب لميدانها في مقابل العلاقة التي جعلتها فقط لحفظ النوع، حيث يقول نيتشة عن مجال المرأة الذي بإمكانها أن تبرع فيه: << أي مجالها الحب الذي يعطي أكثر مما ينال هي سوف تضحي بكل شيء، ولن تجد مجالا لكره أحد حتى لو كان رجلا>>[2]، فهي في هذا المجال سوف تتحرر من المغناطيس الذي كانت تلتصق به دون أن تملك قدرة على التخلص منه، فإذا أرادت المرأة أن تكتشف ذاتها فلا بد اولا من أن تتخلص من العلاقة التي تجعلها مجرد تابع.

اما بالنسبة لعلاقة الصداقة التي قد نجدها بين الرجل و المرأة، فيضح نيتشه ذلك في قوله:<< قد تربط بعض النساع صداقة مع رجل لكن ينبغي بكل تأكيد لكي تستمر تلك

[1] صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشة، مرجع سابق، ص232.
[2] فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، مرجع سابق، ص69.

الصداقة، ان يكون بينهما نزر يسير من التنافر الجسدي>>[1]، فالصداقة عند نيتشه هي علاقة بين شخصين يشترط أن يكونا حرين، وأن يكون بينهما تنافر جسدي، لذلك نجد نيشة يسعى جاهدا لمعالجة هذه النقطة كي تستمر الصداقة بين الجنسين.

ويعطي لنا نيتشه نموذجا يشرح من خلاله المفهوم الجديد للصداقة، ويعبر عن ذلك من خلال قوله: <<من بين كل الذين لهم موهبة خاصة في ميدان الصداقة يتلفت طرزان الواحد لا يفأ يعلو في كل مرحلة من مراحل تطورهالصديق المناسب له تماما وسلسلة الأصدقاء التي يكونها بهذه الطريقة نادرا ما تكون متماسكةوأحيانا تختلف حلقاتها وتتناقض الشيء الذي يتفق مع كون المراحل اللاحقة من تطوره تمحى>>[2]، ان المطلع على قصة طرزان سيكتشف أن سبب تطوره من حيوانيته إلى إنسان هو الصداقة، والأهم من ذلك أن أول صداقة له كانت مع الجنس الآخر (المرأة) وهذه الأخيرة جعلته يتجاوز حيوانيته ويسمو إلى مرتبة إنسانية، حاولت الإقتراب من قلبه وهاجمت شخصيته، وبذلك تجاوز طرزان قل القيم الحيوانية وتسامى إلى مرتبة إنسانية وأصبح إنسانا ذو عقل حر، هذا هو بالتأكيد النوع الذي ينشده نيتشه من الصداقة ، وهذا أيضا يأكد لنا أن المرأة يمكنها حمل مهمة خلق الإنسان المتفوق.

فالصداقة الأرسطية التي تأثر بها نيتشة ذات قيمة إنسانية عليا، وإلى نفس الرأي تقول الباحثة نانسي شريمان*:<< تتطلب الصداقة الأرسطية أن تفيد الآخر بوصفه طرفا منفصلا عنا من أجل ذاته، وهناك قدر من الإستقلالية بين الأصدقاء رغم كل ما بينهما من تفاهم إنهما صديقان قادران عيى أن يعيشا في علاقة الواحد منهما بالآخر بشكل لا يجعل أحدهما ذليلا للآخر>>[3]، اذن فالصداقة حسب نيتشة هي صداقة الأحرار، وهي بالنسبة له أسمى قيمة أخلاقية، لأنها تساهم في سمو الإنسان إلى أعلى مراتب الإنسانية.

ثانيا: المرأة من التراث السائد إلى الخلاص النيتشوي

سعى نيتشه لتحليل نفسية المرأة بهدف مواجهة أمراضها التي كانت سببا في تكريس دونيتها تلك الأمراض التي جعلة المرأة تحتقر ذاتها، مما أدى بها لطلب الطفل رغبة في

[1] فردريك نيتشه، انساي مفرط في انسانيته، مرجع سابق، ص180.
[2] فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، مرجع سابق، ص180.
* نانسي شيرمان: فيلسوفة أمريكية، وموضفة في جامعة جولرج تاون، من مواليد 1951.
[3] محمد مراد، فضيلة الصداقة عند أرسطو، مجلة كلية الآداب، مصر (سوهاج)، العدد(29)، الجزء2، مارس 2006.

تحقيق المساواة مع الرجل وبالتالي التحررمن قبضته، لكن تلك الأمراض لم تزدها إلا احتقارا ودونية، ماجل نيتشه يجتهد ليجد لها علاجا تتمكن من خلاله إعادة بناء هيكلة جديدة لشخصيتها ومكانتها من جديد، ومعالجة ما يمكن معالجته فيها، وغنقاذ ما بقى فيها قد يخولها لتصير نموذجا فاعلا في المجتمع بدل أن تكون مجرد آلة لحفظ الواقع، في هذه النقطة بالذات وقف نيتشه على نقطة مهمة والتي بفضلها ستتمكن المرأة من مواجهة أمراضها، وقد كان " الزواج" هو الحل الوحيد الذي اختاره نيتشة ليجعل المرأة تحقق هدفها، ولكن بما أن نيتشه كان دئما يدعو للتحرر من التقاليد والقيم السائدة آن ذاك، ولكن بما أنه وجد في الزواج خلاص المرأة وعلاجها فقد سعى لتجاوز ذالك المفهوم الحديث للزواج، ذلك الزواج القائم على تعاليم المسيحية وفي مقابل ذلك قدم معنى جيد لمفهوم الزواج يسمح لكل من الطرفين (المرأة و الرجل) بأن يخلقا ذاتهما عن طريق تجاوز ذاتهما إلى ما هو أرقى، وهوكما وصفه نيتشه بأنه زواج من أجل خلق علم المستقبل " الإنسان الأعلى[1].

أ_ موقف نيتشه من مفهوم الزواج الحديث وتأثيره على المرأة .

انتقد نيتشه مفهوم الزواج الذي كان سائدا طوال فترات السابقة، فمشكلة المرأة حسب نيتشه؛ بدايتها ونهايتها بسبب علاقتها بالرجل سواء في علاقة غير شرعية أو في إطار زواج بالمفهوم المزيف، الذي ليس له أي معنى؛ أي ذلك الزواج الذي يجعل من المرأة مجرد آلة لحفظ النوع، ويبقيها دائما في دور التابعة والعاجزة، فهذا الزواج حسبه، إنما هو حب حيوانين قائم في أساسه على الغريزة الجنسية وهو زواج المخلوقات التي تفر من غايتها الإنسانية المنشودة في خلق "الإنسان الأعلى"[2].

يرفض نيتشه الزواج الحديث، ويقول في هذا الصدد: << وما أنا المرتضي بهذه السماء، سماء الدخلاء أطبقت شباكها عليهم، تبا لها، وسحقا لمثل هذا الإله الذي يتقدم متراجعا ليبارك اثنين لم يجمع هو بينهما لا يضحكنكم هذا الزواج، فكم من طفل من حقه أن يبكي على أبويه!>>[3]، يحاول نيتشه إظهار عيوب وسلبيات الزواج الحديث على المرأة

[1] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص79.

[2] على عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق نفس، ص 80، ص81.

[3] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص58.

وعلى الطفل أيضا، كما يبدي ازدراءه من الإله الذي يبارك هذا الزواج الناقص رغم أنه لم يكن سببا في قضاء هذا القدر لهما.

في نظر نيتشه هذا النوع من الزواج في غالبيته يكون قائما على الحب الهووي(حب الغريزة الجنسية)، ويقول نيتشه في هذا السياق: << إن ما تدعونه عشقا إنما هو جنون يتتالى نوبة بعد نوبة حتى يجيء زواجكم خاتما هذه الحماقات بالحماقة المستقرة الكبرى، ويا ليت حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل كانا إشفاقا يتبادله إلهان يتألمان، ولكن هذا الحب لا يتجلى في الغالب إلا تفاهما بين إحساس حيوانين >>[1]، معنى هذا أن الانحطاط الذي أصاب المرأة على مر الأجيال والأزمان حسب ما قدمه نيتشه يعود في الأصل إلى المفهوم الخاطئ لفكرة الزواج التي كانت سائدة في الحضارات السابقة وخاصة الحضارة اليونانية وكذلك الفترة الحديثة؛ حيث كانت العلاقة بين الرجل والمرأة آن ذاك قائمة في أساسها على القوة الشهوانية والغرائز الجنسية لا غير، وحتى الزواج في تلك الفترات لم تكن له أي قيمة؛ فهو الآخر قائم في أساسه على المفهوم الخاطئ للحب كما قلنا سابقا، ولذلك يحذر نيتشه من هذا الزواج القائم على مبادئ ضعيفة؛ فنجده يوضح ذلك في قوله:<< الزيجات التي تتم عن حب (التي نزعم أنها عن حب)، يكون أبوها الخطأ وأمها الضرورة (الحاجة) >>[2]؛ هذا إقرار واضح من نيتشه بأن كل علاقة لا تقوم في أساسها على أهداف سامية فإنها تنزل إلى مرتبة الانحطاط .

هذا النوع من الزواج هو بالضبط ما كان سببا في جعل المرأة تعيش حياة العبودية والتقهقر والانحطاط والإقصاء، كل هذه المفردات لا تعبر بالقدر الكافي عن المعانات المرأة على مر فترات من التاريخ، هذا ما جعل نيتشه يستهزئ بالفكرة الزواج في مفهومهم<< ما يدعوه الدخلاء الأغبياء زواجا أحتار في تعريفه، فما هو إلا مسكنة روحية يتقاسمها اثنان، ودنس يتميز به اثنان، ولذة بائسة تتحكم في اثنين، ولكن الدخلاء يرون في مثل هذا الزواج رباطا عقدته السماء>>[3]، ومن هنا فإن انحطاط المرأة سببه الرئيسي كما يرى الدكتور على عبود المحمداوي هو اهمالها لنوازعها التي تحركها[4].

---

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص58.

[2] فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، مرجع سابق، ص180.

[3] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، مرجع سابق، ص58.

[4] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص81.

ب_المفهوم الجديد للزواج وعلاقته بخلاص المرأة عند نيتشه

حاول نيتشة إيجاد الحل المناسب الذي من خلاله تتجاوز المرأة دورها البيولوجي الذي جعلها تبقى بالمرتبة الدونية أو التابعة وذلك لمدى طويل من الزمن، فهي حسب نيتشه أكثر ما يهمها هو وضع الطفل، ولأن ذلك كان أول مطالبها وربما كان في نظرها السلاح الوحيد الذي تخضع به الرجل، وإن هذا في حد ذاته جعل نيتشه ينتبه إلى ذكاء المرأة، ولكي يساعدها في مواجهة آلامها فقد شدد على فكرة الزواج ولكن ليس بالمفهوم الحديث، إنما بالمفهوم الذي يجعل المرأة طرفا متفوقا، وإلى نفس الرأي يذهب الدكتور علي عبود المحمداوي في قوله: << إن معالجة نيتشه للمرأة داخل حلقة الزواج لن يخصص لها فحسب دورا بيولوجيا أو إجتماعيا، على العكس، و الأكثر من ذلك صار لها دورا أو مهمة خلق المتميزين، ذاك سيكون الإنسان الأعلى بلا شك>>[1]، ومعنى هذا أن الزواج في نظر نيتشه هو تلك العلاقة التي تكون فيها المرأة أكثرا أمننا وتفوقا وذلكمن خلال المهمة الجديدة التي أوكلها إليه زارادشت وهي أن تصبح أما للإنسان الأعلى ويعبر نيتشه عن هذه العلاقة في قوله: << ما الزواج في عرفي إلا إتحاد إرادتين لإيجاد فرد يفوق من كانا علة في وجوده، فالزواج حرمة متبادلة ترسو على احترام هذه الإرادة >>[2]؛ لا يقصد نيتشه في هذا المقام أي إرادة، إنما يخص في حديثه هذا إرادة الخلق التي من خلالها تكون المرأة في المرتبة المساوية للرجل، بل ربما في هذه المعادلة تكون العنصر المتفوق، وأيضا في هذه الحالة ستتجاوز المرأة كونها مجرد حفظ للواقع وستنتقل بذلك إلى مرتبة أعلى،

فشوقها المرأة لوضع الإنسان الأعلى دفعها لتكون أكثر شجاعة وعطاء، لأنها أصبحت تملك قوة الإرادة وليست أي إرادة إنما إرادة الخلق، التي تعتبر في نظر نيتشه خلاص المرأة، فهي حسبه لابد من أن تتجاوز التقاليد والتعاليم التي شكلة المفهوم الزائد للزواج ، وأن تأمن بمشروع جديد تنتقل من خلاله لتصبح والدة الإنسان الأعلى، لأنه في نظر نيتشه خلق الإنسان الأعلى هو غاية الإنسانية ولذلك والواجب الأول بالنسبة للمرأة لابد أن يكون وضع هذا المستقبل المنشود، وبالتالي تتحقق غاية المرأة في أن تصير قوة هائلة يستمد منها الرجل قواه، وهنا يكون خلاصها[3].

---

[1] نفس المرجع، ص80.

[2] فدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص58.

[3] علي عبود المحمداوي و آخرون، الفلسفة و النسوية، مرجع سابق، ص80، ص81.

يسعى نيتشه من خلال هذا الإتحاد جعل هذين الطرفين العظيمين اللذين شبههما نيتشه بالإلهان ديونيزوس و أبولون اللذين وضعهما كمثال ليشرح من خلالهما فكرة الزواج الجديد الذي يقوم حسبه على مبادلة خلق كل طرف لشخصية للآخر حتى يتجاوزان ذاتهما من أجل تأسيس جمهورية الإنسان المتفوق المنشودة[1].

وهذا يعني أن المرأة والرجل ليس بالضرورة أن يكونا عدوين، فالواحد منهما يمثل مرآة للأخر، هذا طبعا ما يريده نيتشه من معنى الزواج، وبالتاليفمعالجة نيتشة للمرأة لم تخرج عن دائرة الزواج باعتباره الميدان الوحيد الذي تتقولب داخله المرأة وتأخذ شكلها من خلاله؛ حيث أنه من خلال هذه المعالجة التي أجراها نيتشه على وضع المرأة جعلها تتجاوز الدور البيولوجي إلى دور أكثر أهمية وأكبر قيمة وهي مهمة خلق المتفوقين، هذا الدور بلا شك هو الذي يخرج المرأة من التقوقع الذي تعيش فيه، فقد انتقلت مهمتها من مجرد حفظ للنوع البشري إلى خالقة للإنسان الأعلى ذلك لأن شوقها لوضع الإنسان الأعلى جعلها ذات إرادة وقوة تعشق المغامرة ولا تخشى غمار المخاطر، كل ذلك لأنها أصبحت متحررة من كل القيود بل إنها أصبحت قوة هادفة، بأن يجعلها تتجاوز دور القطيع في زواجها، وتنتقل بذلك لتستلم مهمة المرأة الكاملة التي ستكون أما للإنسان الأعلى، الذي يعتبره نيتشه نوع الإنساني متفوق، الذي لم يوجد بعد، وإنما على المرأة أن تستلم هذه المهمة، مهمة خلق الإنسان المتفوق[2].

يؤكد نيتشه على أن هذه المهمة؛ مهمة خلق المتميزين تجعل المرأة تتجدد وذلك عن طريق تجاوز ذاتها وأن تخلق من جوهرها إنسانا يفوقها قوة وكمالا، ويقر بذلك في خطابه لها: << إن ما أريده منك هو أن تتوق بانتصارك وحريتك إلى التجدد بالولد، إذ عليك أن تقيم الأنصاب إلى ما فوق مستواك >>[3]؛ أي أن نيتشه يريد من المرأة أن تجعل من غايتها في وضع الطفل خلاصها؛ ليس هذا فقط فنيتشه لا يكتفي عند هذا الحد إنما يواصل تركيزه على هاته الجزئية فيقول: <<ليس عليك أن ترسل سلالتك إلى الأمام فحسب، بل عليك خاصة أن ترفعها إلى ما فوق، فليكن عملك في حقل الزواج منصب إلى هذه

[1] نفس المرجع، ص79، ص80.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون، الفلسفة والنسوية، مرجع سابق، ص80، ص81.

[3] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص57.

الغاية >>[1]؛ ليس أي طفل يطلب نيتشه من المرأة وضعه لهذا العالم؛ إنما وضع "الإنسان الأعلى"، فمن الضروري حسب نيتشه أن تتجاوز المرأة سذاجتها في طلبها للطفل إنما وجب عليها أن ترفع هذا الطفل إلى مرتبة أعلى؛ أي أن تجعل مهمتها تربية جيل المتميزين وكل ذلك لا يتحقق إلا في إطار الزواج الذي شبهه نيتشه بالفن التراجيدي القائم على تعاليم كل من الإلهين " ديونيزوس"و " ابولون"،فهدف هذا المفهوم الجديد للزواج القائم بين " المرأة " و" الرجل" من أجل خلق ما يجعلهما يرغبان في الحياة.

فإذا ما تعمقنا في صورة المرأة بوصفها إنسانا خلاقا، فإنه يتبين لنا أن نيتشه شبهها بالفنان أو الإنسان المبدع الذي يرى أن هذا الوجود، موجود لغاية جميلة ولهذا دعاها نيتشه أولا لأن تعشق الحياةن فعل المرأة في حالة الفن هذه لابد لها أن ترى فقط ما ستبدعه وتخلقه لهذه الحياة طبقا لما جاء في المقولة التالية: << كن قويا ترى العالم جميلا، فالإنسان المجمل هو الإنسان القوي وهو نفسه الإنسان الأعلى، شغله الشاغل هو صناعة الجميل من أجل أن تصبح الحياة أكثر عذوبة وخصوبة>>[2]، وتلك أيضا مهمة المرأة المتفوقة التي أسند إليها دور صناعة المتميزينن ذلك لمساعدتها على التخلص من إحساسها بالضعف وبالتالي تمكنها من التحرر.

فخلاص المرأة من خلال الإنسان الأعلى ليس البحث عن قوة جاذبة جديدة وغير هووية فقط، وإنما يعني تحويل ذلك الضعف و العجز المسيطر عليها إلى قوة هادفة وإرادة خلاقة من خلال جعلها تلك الحقيقة (الحياة) نشوة عظيمة لخلق حياة جديدة << تبقى سهولة التحول هي الشيء الأساسي، فالإنسان الديونيزوسي يستحيل أن لا يستغل أبسط إقتراح، إنه لا يفوت أية إشارة للإنفعال كما يملك أعلى درجة من غريزة الفهم ، وفن التواصل ...>>[3]، وجب أيضا على المرأة أن تكون مثل الإنسان الديونيزوسي وأن تستغل هذه الفرصة، فرصة صنع الإنسان الأعلىن وأن تقوم في البداية بهدم علاقتها الراهنة ومن ثمة الإنتقال إلى بناء علاقة جديدة والتي لم تبلغها بعد وهي أن تصير أما للإنسان الأعلى.

لذلك أعطها نيتشه الأولوية على الرجل في خلق إنسان المستقبل لأنه وجد فيها الأساس لبناء تلك الجمهورية ويأكد ذلك في قوله: << تفهم المرأة الطفل أكثر مما يفهمه

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص57.
[2] بن دوخة هشام، مفهوم الثقافة في فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص137.
[3] نفس المرجع، ص60.

الرجل ، غير أن الرجل أقرب إلى خلق الطفل من المرأة، ففي كل رجل يحتجب طفل يتوق إلى اللعب، فلتعمل النساء على اكتشاف الطفل في الرجل... ليتوهج الكوكب السنى في حبك أيتها المرأة ... وليهتف شوقكي قائلا : لأضعن للعالم الإنسان المتفوق >>[1]، ولذلك يريد نيتشه من المرأة القوية أن تبحث عن الرجل المناسب ليكون والدا لإبنها الذي سوف يكون الإنسان المتفوق[2].

[1] فردريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مرجع سابق، ص85.
[2] نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، مرجع سابق، ص369.

خلاصة:

إذن فقد اختلف تصور نيتشه للمرأة عن كل التصورات السابقة، التي جعلت من المرأة إنسانا بلا قيمة، وبلا مكانة، فالمرأة بالنسبة إلى نيتشه تملك من الإرادة والقوة ما يمكنها من أن تصبح فاعلا مبدعا وقوة خلاقة، وقد لاحظ ذلك من خلال تحليله لنفسية المرأة.

أما النقد الذي وجهه نيتشه للمرأة، فقد اكتشفنا أنه لم يكن يقصد به أي امرأة، إنما عنى به المرأة الضعيفة، السليلة، التي لا تملك روحا جامحة تتخطى من خلالها وضعها المزري، الذي وضعها فيه كل من التراث والمجتمع.

جعل نيتشة من الزواج الحل المناسب الذي يعيد المرأة إلى مكانتها الطبيعية ولست ذلك فقط فقد أصبحت فاعل مبدع في المجتمع بفض المهمة الجديدة التي استلمتها، كماربط نيتشه في حل مشكلة المرأة بصفة عامة بين تصوره الجديد للمرأة وفكرته عن الإنسان الأعلى، لأن فكرته هذه في الحقيقة لها غاية عظيمة، وهي الإعلاء من شأن الروح الإنسانية جمعاء، ولأن المرأة تعتبر جزءا من هذه الروح الإنسانية، فقد حاول وضع المرأة ضمن أنموذج الإنسان الأعلى.

خاتمـــــة

خاتمة:

من خلال تحليلنا لهذا الموضوع، والذي عالجنا فيه التطور التاريخي لمكانة المرأة، وهي المشكلة الوحيدة التي تناشدها المرأة على مر التاريخ البشري إلى يومنا هذا، وفي محاولة منا لدراسة جديدة في هذا الموضوع، وقع اختيارنا على نموذج فردريك نيتشه وموقفه من المرأة، وقد خرجنا بمجموعة النتائج الآتية:

اولا/ عند دراستنا لمكانة المرأة في الحضارة اليونانية، لاحظنا أنها كانت مهمشة وبلا قيمة، حيث لم يكن لوجودها أي معنى، فقد حرمت من كل شيء خاصة المرأة الأثينية، أما المرأة الإسبرطية فقد كان حضها أوفر نوعا ما من حظ أختها الأثينية.

ثانيا/ أما عن مكانتها في القرون الوسطى في المجتمع اليهودي والمسيحي وفي العصر الجاهلي وقبل مجيء الإسلام، فقد لاحظنا أنها كانت تعتبر المسؤولة على شقاء البشرية، حيث أن الكتاب المقدس بشقيه الإنجيل والتوراة، لم يعطي للمرأة مكانتها الطبيعية، باستثناء ما جاء به المسيح من مواقف نبيلة اتجاه المرأة، أما في العصر الجاهلي فقد اعتبروها سببا للعار والفضيحة، فكان يتم قتلها عند ولادتها مباشرة والقليل منهن من كن ينجين من هذا الفعل المنكر، أما بعد دخول الإسلام فقد نالت المرأة كل حقوقها كالحياة والحرية، حيث أعطاها كل حقوقها وفرض عليها واجباتها ولم يقصر في ذلك.

ثالثا/ أما دراستنا لمكانة المرأة في الفكر الغربي الحديث، وخاصة عند بعض رواد الفلسفة الغربية الحديثة، جان جاك روسو وشوبنهاور، فقد اقتصرت معالجتهم لقضية المرأة من الناحية البيولوجية، ما أثبت أن صورة المرأة عادت مشوشة من جديد.

رابعا/ أما بالانتقال إلى تصور فردريك نيتشه للمرأة وموقفه منها، فنجد أنه من أكبر المناصرين للمرأة ومن أشد المدافعين عن قضيتها.

خامسا/ قدم نيتشه مجموعة من الانتقادات ضد المرأة، وذلك حتى تصبح عالمة بنقاط ضعفها واكتشاف نقاط قوتها، حتى تصبح قادرة على النهوض بذاتها دون الاعتماد على أحد.

سادسا/ كذلك محاولته في جعل المرأة عنصرا فعالا وقوة هادفة وإرادة خلاقة، لذلك سعى نيتشه لاستعادة مكانة المرأة وذلك بوضعها ضمن أنموذج الإنسان الأعلى، ذلك الإنسان

الذي يملك من صفات الشجاعة والقدرة على ركوب المخاطر من أجل أن يتحرر من كل القيم السائدة وأن ينهض بذاته إلى ما هو أعلى.

سابعا/ ولذلك حاول الاقتراب من المجال الذي تدور فيه المرأة وكشف أسراره، كعلاقتها بالرجل، الزواج، الأمومة، باعتبار هاته النقاط هي الأسباب في جعل المرأة تبقى تابعة للأبد.

وفي نهاية هذا البحث نتوصل إلى حقيقة مفادها أن نيتشه أراد أن ينتشل المرأة من فوضى العادات و التقاليد التي جعلتها ضعيفة وسليلة، وأن يجعلها إنسانا متفوقا قادرا على العطاء و الخلق، كما أنه بالرغم من معرفته بأنها ذات طبيعة ضعيفة إلا أنه في النهاية آمن بقدرتها على التغلب على ذلك الضعف لأنه غير حقيقي، رغم وجهات النظر التي حكمت عليها بالضعف إلا أن المرأة بإمكانها أن تتجاوز كل الظروف لتصنع لنفسها مستقبلا جديدا حافلا بإرادة القوة مما يجعلها ذلك تعشق مصيرها من جديد وترغب في الحياة من جديد، فالطفل هبة من الله يجعل المرأة تتجدد في كل ولادة، قبل أن يجعله نيتشه مهمة المرأة المتفوقة.

نستنتج من كل ما تم عرضه سابقا، أن مشكلة مكانة المرأة مازالت وستبقى إشكالا مطروحا سواء في المجتمعات الغربية أو مجتمعاتنا العربية المعاصر، فهناك من أول تصور نيتشه للمرأة تأويلا آخرا، فمثلا جاك دريدا الذي يرى بأن نيتشه لم يكن يقصد المرأة كنوع من الجندر في تعبيره وإنما كان يقصد الحياة التي عبر عليها بصورة المرأة، وسيبقى السؤال يعيد نفسه: هل ستصبح المرأة فاعل مبدع أم أنها ستعاني التبعية إلى أجل غير معلوم.

أهم التوصيات التي نوجهها بخصوص هذا الموضوع هو أن نوصي الباحثين وبالأخص الباحثات أن يعالجوا مثل هذا النوع من المواضيع، لأن المرأة في مجتمعنا العربي لا زالت تعاني إلى اليوم ويلات التسلط والتجبر المفروض عليها، بالإضافة إلى هذا فلابد أن ندعم مثل هذا النوع من الأعمال والأبحاث الخاصة بالمرأة والموجهة لها والتي تعالج كيانها ومكانتها لأنها في الحقيقة هي بحاجة لذلك.

لتكن شخصياتنا نحن النساء قوية تتقبل النقد وتتعطش له، لتخلق أشياء وتغير أشياء وتتمسك بأشياء كوني امرأة قوية تتحدى الكل من أجل ذاتها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة بيبليوغرافية:

_الكتب المقدسة:

_ التوراة والإنجيل

_القرآن الكريم

أ– المصادر بالعربية:

1_ فريدريك نيتشه، إرادة القوة(محاولة لقلب كل القيم)، ترجمة: محمد ناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ب ط، 2011.

2_ فردريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقية ومحمد ناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993.

3_ فردريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته(كتاب العقول الحرة)، ترجمة: محمد ناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، الجزء الأول، ب ط، 2002.

4_ فردريك نيتشه، ديوان نيتشه، ترجمة: محمد بن صالح، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الثانية، 2009.

5_ فردريك نيتشه، ما وراء الخير والشر(تباشير فلسفة المستقبل)، ترجمة: جزيلا فلور حجار، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

6_ فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زارادشت، ترجمة: فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، ب ط، 1938.

7_ فردريك نيتشه، هذا هو الإنسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، الطبعة الأولى، 2011.

9_ فردريك نيتشه، أفول الأصنام، ترجمة: محمد الناجي وحسان بورقية، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، 1996.

10_ **فردريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها**، ترجمة: حسين قبسي، المؤسسة الجامعية، للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ب ط، ب ت،

11_فردريك نيتشه، جنيالوجيا الأخلاق، ترجمة: فتحي المسكيني، المركز الوطني للترجمة، تونس، الطبعة الأولى، 2010.

ب_ المصادر بالأجنبية:

2_friedrichnietezche,L'antéchristSuivideEccehomo.Trad.Jeamcloudeh ennery,Gallimard, 1974, P150.

*** المراجع:**

أ_ كتب:

1_ امام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992.

2_ امام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى،1996.

3_ امام عبد الفتاح إمام، روسو والمرأة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

4_ أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة: احمد لطفي السيد، منشورات الجمل للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

5_ أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: داود تمرزان، دار الأهلية للنشر، بيروت، ب ط، 1994.

6_ أفلاطون، القوانين، ترجمة: محمد ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1982.

7_ إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي والمرأة، مكتبة مدبولي للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، 1996.

8_ ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية، ب ط، 1983.

9_ أبوبكر أميمة، المرأة والجندر، إلغاء التمييز الثقافي و الإجتماعي بين الجنسين،دار الفكر، دمشق، ط1، 2003.

8_ السيد محمد عاشور، مركز المرأة في الشريعة اليهودية، مكتبة الإيمان للنشر، القاهرة، ب ط، ب ت.

9_ بهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، دار قباء للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، 1983.

10_ باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ب ط، 1981.

11_ حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، الهنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، 216.

9_ جان جاك روسو، إميل و التربية، ترجمة: عادل زعيتر، دار النشر المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط، 2015.

12_ جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، دار النشر مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، ب ط، ب ت.

13_ جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة، عادل زعيتر، دار النشر مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ب ط، ب ت.

14_ جان غرانييه، نيتشه، ترجمة: أبو ملحم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

15_ جاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حنين، عالم المعرفة للنشر، الكويت، ب ط، 1990.

16_خيرى أبو العزائم الفرجاني، دراسة مقارنة بين الشريعة والنظم المعاصرة، ب ب، ب ط، ب ت.

17_ربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر(بين النسبية والمطلقية)، الشبكة الوطنية، للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ط، 1982.

18_ زكي علي السيد أبو غضة، المرأة بين اليهودية و المسيحية والإسلام، دار الوفاء للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

19_صفاء عبد السلام جعفر، محاولة جديدة في قراءة نيتشه، دار المعرفة الجامعية، السويس، ب ط، 1999.

20_ عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي (نيتشه)، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، الطبعة الخامسة، 1980.

21_ عرفات كريم ستوني، النزعة العدمية وصلتها بالإباحية، منتدى الفكر الإسلامي، كردستان، ب ط، 2011.

22_ عبد الرحمن بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات للنشر والطباعة، الكويت، الطبعة الخامسة، 1915.

21- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل للنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1998.

22_ فؤاد زكريا، نيتشه، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة،الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2011.

23_فؤاد زكريا، جمهورية أفلاطون، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية، ب ط، 2004.

24_ فتحي المسكيني، الهجرة إلى الإنسانية، كلمة للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 2016.

25_ مريم نور الدين فضل الله، المرأة في ظل الإسلام، دار الزهراء للنشر والتوزيع، ب ط، ب ت.

26_ مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، والترجمة، الطبعة الرابعة، القاهرة، 2010.

27_ مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، ب ت.

28_ مصطفى غالب، نيتشه(في سبيل موسوعة فلسفية)، دار ومكتبة الهلال للنشر، بيروت، ب ط، 1988.

29_ مصطفى صمودي، من جلجامش إلى نيتشه (بحث في الثقافة العالمية)، المنهل للنشر، ب ب، 2015.

30_ مصطفى زهار، مقاربة في دراسة نص التوراة، دار الضفاف، البصرة، ط1، 2012.

30_ مجدي كامل، فردريك نيتشه(شيطان الفلسفة الأكبر)، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011.

31_ مجموعة من الأكاديميين العرب، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة والنسوية، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2013.

32_ محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث، الطبعة الأولى، 2008.

33_ مايكل تانز، نيتشه(مقدمة قصيرة جدا)، ترجمة: مروى عبد السلام، الهنداوي للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.

34_ مسلم اليوسف، القوامة، معهد المعارف لخرجي الدعاة في الفلبين، الدراسات الفقهية والقانونية، الفلبين، ب ط، ب ت.

34_ نديم نجدي، إضاءات نيتشويه، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الأول، ب ط، 2013.

35_ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، المجلد الثاني، ب ط، ب ت.

36_ وفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفارابي للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.

ب_ المجلات:

1_ محمد مراد، فضيلة الصداقة عند أرسطو، مجلة (كلية الآداب)، مصر (سوهاج)، الجزء 2، مارس2006.

2_ سنا صباح آل خالد، حول فكرة العود الأبدي،مجلة الآداب البصرة، دمشق، العدد (74)، 2015.

3_ عيسى الشماس، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد(28)، العدد (2)، .

4_ **سلوى الديب، ديمستين أشهر خطباء في التاريخ،** مجلة الثورة، تصدر عن للصحافة والطباعة والنشر، ب ت.

5_ **جليل والي، ديوتيما فيلسوفة أول من أجرى معها أرسطو حوارا حول الحب العذري،** مجلة الإتحاد، جامعة الإمارات، ب ت.

6- نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، مجلة الأردن، للعلوم الإجتماعية، المجلد(1)، العدد(3)، 2017.

ذ_ الأطروحات:

1_ عبد النور بورراش، موقف نيتشه من الميتافيزيقا، إشراف: الشريف زيتوني، جامعة الجزائر، 2008_2009 (مذكرة لنيل شهادة ماجستير، في الفلسفة).

2_ بن دوخة هشام، مفهوم الثقافة في فلسفة نيتشة، إشراف: حمادي حميد، المدرسة التكترالية للعلوم الإنسانية والإجتماعية، وهران،2009_2010،(مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في الفلسفة).

و_ المواقع:

1_ نادرأبا زيد، ماهوالإنسان الأعلى، 22_02_2020، 12:45، .https://www.maaber.org

2_ إسماعيل فائز، ملامح القراءة الدولوزية لفلسفة نيتشه، 30_02_2020، 10:09، . https://www.anfsse.org

3_ علاء عمر النجار، الفلسفة والمرأة خصومة ملفقة(نيتشه أنموذجا)، 11_03_2020،17:20، https://www.alawan.org

4_ إحسانالعقلة، من هو داروين، 11:15، 19_04_2020 . https://mawdoo3.com

5_ مؤسسة مؤمنون بلا حدود، للدراسات و الأبحاث، 23:30، 12_04_ 2020، . https://www.mominoun.com

ملخص المذكرة

1_ باللغة العربية:

تناولت هذه الدراسة قضية المرأة عند نيتشه، كيف أنه وضع لها علاجا يسمح بإعادة تقويمها وتحويلها إلى إرادة خلاقة، وجعلها نموذجا للإنسان الأعلى؛ ذلك الإنسان الذي أوجده ليعارض به كل القيم والمبادئ السابقة، كما أنه أوكل إليها باعتبارها نموذجا للإنسان الأعلى مهمة خلق الإنسان المتفوق، والذي يتميز بصفات الحرية والقوة والإرادة وبهذا نكون قد قدمنا تصورا جديدا للمرأة عند نيتشه، بعد أن كان شائعا عنه بأنه من أكبر الحاقدين والكارهين للمرأة؛ حيث نفينا ذلك الاعتقاد وأعطينا تأويلا جديد لتصوراته حول المرأة الكاملة التي اعتبرها نموذجا متفوقا على الرجل الكامل.

الكلمات المفتاحية:

المرأة _ الإنسان الأعلى_ الخلاص _ الزواج _ الطفل _ ديونيزوس _ لقيم _ إرادة القوة.

2_ باللغة الإنجليزية:

Rèsumè :

This study dealt the issne of wonen at Nietzsche, he put to her a treatruent that allons recalibration and turn her into a creative will and make her a model for the supreme human to reject all the previous values, and as she is a model of the supreme human, it entrust to her a mission to create the superior human, who is characterized by freedom, strength and will and eternity, after that he was a big spiteful for the women he gone a new visualization for the women where we denied the belief for him the fell women is a superior model the full man.

The keys words:

The woman, superior human, the salvation, the married, the boy, Dionuysus, the values, the will to force.